بحث في

المسائل البلاغية

في (لو) النحوية

دكتوره

فايزه عبد الحميد فهمي

أستاذ مساعد البلاغة والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد ، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن العناية بدراسة اللغة العربية بفنونها المختلفة وبخاصة البلاغية منها هدف كل باحث مجد لا يرى من وراء أبحاثه إلا رقي اللغة العربية وازدهارها ، وذلك باستخراج مكنوناتها العظيمة .

وإحساساً مني بالمسئولية في الكشف عن مكنونات تراثنا البلاغي أحببت أن أسهم بما أستطيع من جهد في الكشف عن هذا التراث الهام ، إيماناً مني بأن الحديد لا ينطلق من فراغ ، بل لابد له من قديم يهتدي بنوره على درب العلم والمعرفة ، وقد نشأت المعرفة بمعاني الأدوات في ركاب تفسير القرآن الكريم حين كان علماء العربية والمفسرون ، يفصلون المعاني المختلفة للأداة الواحدة في النصوص القرآنية وانتشرت أقوالهم بين طيات كتب التفسير ، وشرح الدواوين ، والمصنفات النحوية والبلاغية ولذلك كان هذا البحث الذي يتعلق بمعرفة معاني أداة من هذه الأدوات وهي " لو " ودلالتها من الوجهة البلاغية وسميته : (**مسائل بلاغية في " لو " النحوية**) .

سلكت فيه منهج الدلالة على هذه المسائل البلاغية لهذا الحرف البلاغي الهام بالتطبيق على كثير من الشواهد القرآنية والشعرية فاستقصيت معاني هذا الحرف البلاغية وبينت جمالها في الأسلوب حيث أبرزت المعنى وزينته في صورة جميلة .

ومن ثم جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

ففي المقدمة : ذكرت فيها موضوع البحث وسر اختياري لهذا الموضوع ، مع ذكر المنهج الذي سرت عليه .

التمهيد : تعرضت للمعنى العام لـ " لو " واقترانها غالباً بالماضي .

الفصل الأول : بعنوان " لو واقترانها بالمضارع " وقد ذكرت فيه الأسرار البلاغية لاقتران " لو " بالفعل المضارع .

الفصل الثاني : فكان بعنوان " لو " ودلالتها على التمني تحدثت فيه عن معنى التمني ، ثم بينت متى تستعمل " لو " لهذا المعنى البلاغي ؟

الفصل الثالث : لو ودلالتها على الإيجاز وتحدثت فيه عن المعنى العام للإيجاز ومدى ارتباطه بـ " لو " وقد قسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : كان عن الإيجاز بحذف " لو "

المبحث الثاني : كان عن الإيجاز بحذف جواب الشرط

المبحث الثالث : كان عن الإيجاز بحذف مفعول المشيئة

الفصل الرابع : كان بعنوان " لو " ودلالتها على المبالغة ، أوضحت فيه متى تستعمل " لو " للمبالغة ، ومتى تكون " لو " سبباً لإمكان قبول المبالغة الغير ممكنة .

الفصل الخامس : كان بعنوان الاختصاص أوضحت فيه دخول لو على الأسماء ودلالة ذلك على الاختصاص .

هذا جهدي فيما توصلت إليه لإبراز الأسرار البلاغية لـ " لو " لا أرى إني قصرت في حقه ، أو أهملت في شأنه ، فإن أك قد وفقت فيما قصدت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وإن تكن الأخرى ، فحسبي إني اجتهدت ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجران فكل سطر حالفني الصواب فيه فأنا مدينة فيه بالفضل لأهم ما جاء في كتب تراث الأجداد ، وكل مبحث فيه جانبه الصواب فكان عن قصر همتي وضعف حيلتي .

أسأل الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني عليه الأجر الجزيل أنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتوره

فايزه عبد الحميد فهمي

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بالكلية

معنى "لو"

من المعروف أن الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً محكماً ملاحظاً فيه ترتيب المسبب على السبب ، فإذا ذكرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون فإذا ذكر الجواب بعد صلاة هذه الإثارة وهذا التشويق وبعد التلهف إليه وطول الترقب تمكن أيما تمكن . ومن هذه الأدوات " لو " التي تدل على الشرط في الماضي ، ولأهل النحو فيها حديث طويل فقد صرح سيبويه[1] : أنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره[2] .

ومدلول هذه العبارة يفيد أن "لو" حرف لما لم يقع في الماضي ولكنه كان في الماضي متوقعاً ، والمتوقع غير واقع ، فكأنه قال "لو" حرف يقتضي فعلاً امتنع لامتناع ما كان ليثبت لثبوته .

وفي هذا دلالة على معنى "لو" فأدوات الشرط لكل منها معنى خاص فـ "إن" و "إذا" مثلاً للمستقبل و "لو" و "لما" للماضي ، إلا أنهما متنافيان فلو للامتناع ، ولما للوجوب ، فإذا قلنا : لو قام زيد قام عمرو دل هذا على الربط بينهما في الماضي ، فإذا كان هناك قيام لزيد كان هناك قيام لعمرو فهما ممتنعان ، وإذا تأملنا شاهداً على عمل "لما" لقلنا " لما قام زيد قام عمرو " دل هذا على الربط بينهما في الماضي إلا أنهما واجبان فقد كان هناك قيام من عمرو لقيام زيد فهي حرف لما وقع لوقوع غيره .

فـ " لو " تدل بالمطابقة على أن وقوع الثاني كان يحصل على تقدير وقوع الأول ، وتدل أيضاً بالالتزام على امتناع وقوع الثاني لامتناع وقوع الأول ، لأنه إذا كان وقوع الثاني لازماً لوقوع الأول فعدم اللازم يدل على عدم الملزوم .

---

(١) هو أبو بشر بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه الفارسي ، عالم من علماء النحو ، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي توفى سنة ثمانين ومائه .
من آثاره : الكتاب في النحو
مراجع حياته : غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ١ / ٦٠٢ طبع دار الكتب العلمية بيروت – الفهرست لابن النديم ص٧٦ دار المعرفة .
(٢) الكتاب لسيبويه تحقيق د/عبد السلام هارون ٤ / ٢٢٤ الطبعة الثانية طبه الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٩.

فلو على ذلك شرطية في الماضي تدل على تعليق المتكلم حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط ، أي أن جزاء الشرط يقع على تقدير وقوع الشرط ، فهي إذا أفادت القطع بانتفاء الشرط أفادت بالتالي انتفاء الجزاء من حيث ترتبه على ذلك الشرط ، وهذا لا ينافي وجوده من حيث ترتبه على سبب آخر غير الشرط ، لأن لو مع إفادتها استلزام الأول للثاني فهي تفيد في اللغة غالباً توقف الجزاء على الشرط فاللازم على إفادتها انتفاء الشرط انتفاء المشروط كانتفاء الإكرام في قولنا : " لو جئتني لأكرمتك " فمن المعلوم أن المجئ مستلزم للإكرام وشرط فيه وعلى تقدير وقوعه يقع الإكرام .

ويفهم من ذلك أن المجئ لم يقع فيلزم حيث كان المجئ شرطاً وانتفى انتفاء المشروط الذي هو الجزاء فيقال هنا لكنك لم تجئ ليفيد انتفاء الجزاء .

فالمراعي في إفادة " لو " أن الجزاء انتفى في الخارج بسبب انتفاء الشرط ، وذلك لأن الشرط كما يستدل به على الانتفاء يجوز أن يحصل سبباً للانتفاء في الخارج ، وهذا لا يجوز إلا إذا كان المخاطب عالماً بذلك أو كونه كالعالم بالجزاء فلا يحتاج للاستدلال عليه ، وفي هذه الحالة لا يحتاج إلا لبيان علته ، فإذا قلنا : لو جئتني لأكرمتك فالمعنى أن الإكرام إنما انتفى في الخارج بسبب انتفاء المجئ ويكون هذا كلاماً مع من كان عالماً بذلك[1] وهذا ما عبر به أكثر النحاة[2] بالمفهوم فقالوا إن "لو" حرف امتناع لامتناع إلا أنهم اختلفوا في المراد بها على قولين :-

فقال أحدهما : إنه امتناع الثاني لامتناع الأول فلا يكون فيها تعرض للوقوع على تقدير الوقوع إلا بالمفهوم .

الثاني : أنها تدل على امتناع الأول لامتناع الثاني[3] .

---

(١) راجع ذلك في : مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ٩٦/٢ طبع دار السرور بيروت – لبنان .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١١ طبع عالم الكتب بيروت ، المقتضب للمبرد: تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ٣ / ٧٥ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة ثانية ١٩٧٩م ، مغني اللبيب لابن هشام : تحقيق وضبط محمد محي الدين عبد الحميد ١/ ٢٥٥ نشر مطبعة صبيح .

(٣) راجع ذلك في : الإيضاح في شرح المفصل لابن الحجاب النحوي تحقيق د/ موسى بناي العليلي ٢٤١/٢ طبع العاني بغداد ، الأمالي النحوية لابن الحاجب : تحقيق حسن حمودي طبع عالم الكتب طبعة أولى سنة ١٩٨٥م .

ومع القول بأن أداة الشرط " لو " تفيد امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، وهذا بحسب متفاهم عرف اللغة والشرط إذا انتفى انتفى المشروط ، وهذا من ناحية الاستدلال العقلي ، بمعنى أنها تفيد الربط بين الجزاء والشرط فانتفاء الأول يستدل به عقلاً على انتفاء الثاني أي أن انتفاء اللازم وهو الشرط يستدل به على انتفاء الملزوم وهو الجزاء، ومن المعلوم أن المقرر عند النحويين عكس هذا وهو أن اللازم هو الجزاء وهذا هو ما يسمى عند المناطقة بالثاني وبانتفائه يستدل على انتفاء الأول دون العكس وذلك كقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] فقوله : " لفسدتا " هو الجزاء وهو الثاني يستدل بانتفائه على انتفاء تعدد الآلهة ولا يستدل بانتفاء التعدد على انتفاء الفساد لصحة وقوعه بإرادة الله سبحانه وتعالى .

فلو هنا استعملت في مقام الاستدلال فيفهم منها إرتباط وجود التالي بوجود المقدم مع انتفاء التالي فيعلم منها انتفاء المقدم يقال: لو كان زيد في البلد لجاءنا ، ليعلم منه أنه ليس في البلد .

والآية فيها دليل عقلي على نفي تعدد الإله ، وهو قياس استثنائي استثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم فكأنه قيل لو تعدد الإله في العالم لفسد لكنه لم يفسد ينتج أنه لم يتعدد الإله[2] .

وقيل بأن هذا الرأي مبني على تعدد العلل والمعلول واحد ، فقد جعلوها أداة للتلازم دالة على لزوم الجزاء للشرط من غير قصد إلى القطع بانتفائها فهم يستعملونها للدلالة على أن العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الأول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم[3] .

وهذا ما يراه ابن الحاجب[4] حيث صرح بأن " لو " حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه ، أي أنه يقتضي امتناع فعل الشرط واستلزام بثبوته لثبوت الجواب .

---

(١) سورة الأنبياء : آية رقم ٢٢ .

(٢) تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١١ / ٤٨٩ طبع دار الغد العربي بتصرف .

(٣) المصدر السابق ١١ / ٤٨٩ .

(٤) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ويعرف بابن الحاجب لأن والده كان حاجباً توفى سنة ٦٤٦هـ كان فقيهاً مالكياً من كبار علماء العربية . من آثاره : " الكافية في النحو" و"الشافية في الصرف" وغير ذلك كثير . مراجع حياته : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ١٣٤ نشر المكتبة العصرية-صيدا.

فقال في ذلك : " ..... وهذا أولى لأن الأول سبب للثاني وانتفاء السبب لا يدل على انتفاء المسبب لجواز أن يخلفه سبب آخر وانتفاء السبب يدل على انتفاء كل سبب فصح أن يقال امتنع الأول لامتناع الثاني ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] كيف سيق للدلالة على انتفاء التعدد بانتفاء الفساد لا امتناع الفساد لامتناع التعدد لأنه خلاف المفهوم ، ولأن نفي الآلهة غير الله لا يلزم منه نفي فساد هذا العالم[2] .

ومن يتأمل هذا الرأي يرى أن المعلوم في هذا الشاهد هو امتناع الفساد وانتفاؤه لكونه مشاهداً معلوماً وإنما يستدل بالمعلوم على المجهول دون العكس تأمل هذا المعنى في قول الحماسي :

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر

فمن المعلوم أن عدم طيران الفرس معلومة للعامة والخاصة من الناس ولكن الغرض من الاتيان بـ " لو " هنا هو بيان في عدم طيرانها وهو عدم طيران ذي حافر قبلها .

فمعنى " لو " أنها لامتناع الجزاء لأجل امتناع الشرط فامتناع الشرط سبب لامتناع الجزاء لأن الشرط دليل على هذا الجزاء ، كما نرى هذا في معنى " لولا " أنها لامتناع الجزاء لأجل وجود الشرط بمعنى أن وجود الشرط سبب لامتناع الجزاء لأنه دليل عليه تأمل هذا فيما ورد " لولا علي لهلك عمر " فوجود علي سبب في الخارج لعدم هلاك عمر فالمراد هو بيان السبب المانع من الهلاك بعد العلم بالامتناع وهذا المعنى لا يستقيم مع قولنا لو كان هذا إنساناً لكان حيواناً لأن الإنسانية ليست شرطاً في الحيوانية حتى يكون نفيها دليلاً أو سبباً لنفي الحيوانية .

وإنما لو في هذا المثال تفيد بيان اللزوم بين المقدم والتالي ليستفاد من نفي التالي نفي المقدم[3] وعلى استعمال لو لإفادة معنى الحملية المعللة بعلة لبيان تلك العلة وأنها سبب ذلك الحكم المعلوم في الخارج من ذلك قوله تعالى " وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ "[4] وذلك لأن عدم إسماعهم معلوم وأن علته هي نفي علم الخير فيهم فكأنه قيل لم يسمعهم الله لعدم علم الخير فيهم .

---

(١) سورة الأنبياء : آية رقم ٢٢ .
(٢) الإيضاح في شرح المفصل للشيخ ابن الحاجب النحوي ٢ / ٢٤١ .
(٣) مواهب الفتاح ٢ / ٧٥ .
(٤) سورة الأنفال : آية رقم ٢٣ .

وأما قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] فقد استعملت لو هنا لإفادة معنى آخر وهو أن هذا الشرط يلزمه الجزاء على تقدير وقوعه لئلا يتوهم أنه إنما يلزم نقيضه فقط فالمعنى أنهم متولون عن الإيمان معرضون عنه فالغرض هنا هو وصفهم بدوام الكفر إن لم يسمعوا وكذا لو سمعوا .

وعلى هذا لا يرد أن يقال : إن هنا قضيتين شرطيتين لزوميتين كليتين صادقتين وهما : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وكل قضيتين كذلك يصح ضم إحداهما للأخرى تنتجان نتيجة صحيحة فمن المعلوم أن ضم إحداهما إلى الأخرى ينتج لو علم الله أن فيهم خيراً لتولوا وهذا غير صحيح ، فالقضية الأولى حملية في المعنى معللة وكأنه يقال لم يسمعهم الله لعدم علم الخير فيهم والغرض البلاغي من الآية الثانية هو بيان أن دوامهم على الكفر لازم لهم أسمعوا أو لم يسمعوا[2] .

فإن لو هنا دلت على امتناع الشيء لامتناع غيره ولهذا لا يصرح باستثناء نقيض التالي ، وأن قوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ وأرد على قاعدة اللغة أي أن سبب عدم الإسماع عدم العلم بالخير فيهم ، ثم ابتدأ قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ﴾ كما يقال لو لم يخف فلان الله تعالى لم يعصه بمعنى أنه لو انتفى الخوف لما عصى للمحبة .

فمن الممكن أن يكون المقصود هنا هو تقرير قولهم في جميع الأزمنة حيث ادعى لزومه لما هو مناف له ليفيد بثبوته على تقدير الشرط وعدمه ، فمعنى الآية حينئذ أنه انتفى الإسماع لانتفاء علم الخير وأنهم ثابتون على التولي[3] .

بعد هذا العرض يتبين لنا أن "لو" تفيد الشرط في الماضي فيلزم حينئذ عدم الثبوت أي عدم الحصول في الخارج ويلزم المضي في جملتيها أي جملة الشرط وجملة الجزاء .

---

(١) سورة الأنفال : آية رقم ٢٣ .
(٢) راجع : مواهب الفتاح ٢ / ٧٥ بتصرف .
(٣) روح المعاني ٦ / ٥٢١ .

وبعد تأمل وتدبر في معنى "لو" ثبت لنا أنها تفيد الشرط في الماضي فيلزم حينئذ عدم الثبوت ، أي عدم الحصول في الخارج ، ويلزم المضي في جملتيها أي جملة الشرط وجملة الجزاء .

إذا تحقق هذا المعنى فإن العدول عن المضي إلى دخولها على المضارع يجب أن يكون لنكتة بلاغية وذلك :-

(أ) كقصد استمرار عدم وقوع الفعل المعلق عليه فيما مضى وقتاً بعد وقت فإن المضارع المثبت الداخل عليه " لو " يفيد استمرار الثبوت فكذا المضارع المنفي والداخل عليه " لو " أيضاً يفيد استمرار النفي والامتناع[1] كما في قوله تعالى : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [2] فقد دل الفعل المضارع "يطيعكم" الواقع بعد "لو" على استمرار الفعل فيما مضى وقتاً بعد وقت لأن المعنى لو استمرت طاعة النبي عليه الصلاة والسلام لكم والعمل برأيكم وقتاً بعد وقت لوقعتم في بلاء وهلاك ولما انتفت الموافقة في كل شيء واستمر امتناع النبي عليه الصلاة والسلام عن طاعتكم وقتاً بعد وقت ، انتفى لذلك هلاكهم .

ويرى الإمام ابن يعقوب المغربي أن نفي الاستمرار على الطاعة موجب لنفي الهلاك دون استمرار نفي الطاعة بحيث لا يوافقهم شيء أصلاً ولو كان هو المتبادر في إيجاب نفي الهلاك ، لأن موافقتهم في بعض الأمور التي لا تضر لا توجب هلاكهم بل فيها جلب خواطرهم فنفى استمرار الطاعة كاف ولو كانت معه بعض الموافقة، وإنما يوجب الهلاك ويوجب اختلال حكمة الرياسة وانتقاص نظام السيادة الاستمرار

---

(١) راجع ذلك في : عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح للبهاء السبكي – تحقيق د/ فايزه عبد الحميد ٥٠٤/١ ، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص ٣٦ طبع الحلبي ١٣٥٨ ، ١٩٣٩م.

(٢) سورة الحجرات : آية رقم ٧ .

على الطاعة أبداً بخلاف الموافقة في بعض الأحيان، لأن من شأن الملك موافقة الرعية في بعض الأمور لجلب قلوبهم[1] .

والجملة المصدر بـ "لو" هنا متصلة بما قبلها وهي هنا حالاً من أحد الضميرين في "فيكم" وهما الضمير المستتر المرفوع وهو "الكاف" ، أو الضمير البارز المجرور وهو "الميم" ، ولا يمكن اعتبار هذه الجملة المصدرة بـ "لو" كلاماً مستأنفاً لأنه في هذه الحالة يؤدي إلى تنافر في النظم[2] .

ومن هذا أيضاً قول كعب بن زهير[3] :-

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل[4]

فقد دل الفعل المضارع في قوله : " لو يقوم " وقوله " لو يسمع " على أن ذلك الأمر استمر عدم وقوع الفعل المعلق عليه فيما مضى وقتاً بعد وقت[5].

ففائدة العدول إلى المضارع هنا هي الدلالة على التجدد والاستمرار كقصد استمرار الفعل في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [6] أي حالاً فحالاً على الاستمرار بعد قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾[7] ، حيث لم يقل الله مستهزئ بهم بلفظ اسم الفاعل قصدا إلى حدوث الاستهزاء والسخرية والاستخفاف بالمنافقين وتجددهم وقتاً بعد وقت .

---

(١) راجع ذلك : مواهب الفتاح ٨١/٢ بتصرف ضمن شروح التلخيص .
(٢) الكشاف للزمخشري ٥٦٠/٣ طبع دار الفكر – البحر المحيط لأبي حيان ١١٠/٨ طبع دار إحاء التراث العربي بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
(٣) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ت ٢٦هـ ، شاعر من أهل نجد ، له ديوان شعر مطبوع .
مراجع حياته :- الإعلام ٢٢٦/٥ .
(٤) البيت من البسيط من قصيدة في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاعتذار إليه يقول مطلعها :
بانت سعادة فقلبي اليوم متبول مقيم أثرها لم يفد مكبول
راجع القصيدة في : شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – لابن هشام الأنصاري - ضبط وتحقيق / محمود حسن أبو ناجي ، ص٢٦ ، طبعة ثالثة طبه مؤسسة علوم القرآن سنة ١٩٨٤م .
(٥) عروس الإخراج ١ / ٥٠٤ .
(٦) سورة البقرة : آية رقم ١٥ .
(٧) سورة البقرة : آية رقم ١٤ .

وهكذا كانت نكايات الله في المنافقين وبلاياه تتجدد وقتاً فوقتاً وتحدث حالاً فحالاً[1].

(٢) ومن النكت البلاغية أيضاً من مجئ شرط " لو " مضارعاً تحقق وقوعه وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[2].

الخطاب هنا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو لكل من يتأتى منه الرؤية وفي تخصيص الخطاب بالرسول صلى الله عليه وسلم يكون الغرض من ذلك هو تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي تعميم الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية يكون الغرض تفضيح حالهم وإظهار بشاعتها لكل أحد[3] .

ونرى دخول "لو" هنا على الفعل المضارع فدل هذا على تهويل وبشاعة ما سيروه وذلك لتنزيل الفعل المضارع منزلة الفعل الماضي المتحقق وقوعه في قولك : "لو رأيت" فالفعل الماضي إنما يدل على التحقيق المقطوع بوقوعه ، وصدور الفعل المضارع ممن لا خلاف في أخباره كأنه قطع بوقوعه وتحقيقه .

وهذا ما يراه ابن السبكي فقد صرح بأن المعنى هنا "لو رأيت" في الماضي، وإنما أخبر عنه ماضياً وإن كانت دلالة الفعل مستقبلة، لأن من خبره لا يخلف يجعل المخبر به كالذي وقع فهي هنا في تأويل الوقوع فلذلك أتى برأيت ثم عبر بترى وذلك رعاية للأصل ، فكأنه يقال هذه الحالة مضت وما رأيتها ولو رأيتها لرأيت أمراً عظيماً .

ثم قال: أنه يجوز أن تكون "لو" في هذه الآية ، بمعنى الشرط المستقبل إن ثبت أن استعمالها بمعنى "إن" وذلك تمشياً مع من يصرح باستعمال لو بمعنى إن[4] ، ونرى هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[5] فقد نزل الفعل المضارع وهو " يود " منزلة الماضي وهو " ود " لصدوره عمن لا خلاف في أخباره ، وذلك للتنبيه على تنزيل المستقبل منزلة الماضي ، أي

---

(١) راجع ذلك في : المطول ص١٧١ – مفتاح تلخيص المفتاح للخطيب الخلخالي – تحقيق : أ.د/ هاشم محمد هاشم ٢ / ٨٧ – رسالة دكتوراه .
(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٢٧ .
(٣) حاشية الدسوقي ٢ / ٨٣ بتصرف ضمن شروح التلخيص .
(٤) عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح ٥٠٥/١ .
(٥) سورة الحجر : آية رقم ٢ .

يوم القيامة لو كانوا مسلمين ، أي أن لو كانوا مسلمين في الدنيا وذلك لأن المترقب من الله في تحققه كالماضي ، فكأنه قيل : ربما ود .

هذا إذا كانت "ما" في قوله تعالى : "ربما" كافة فيحتاج إلى تأويل الفعل "يود" وذلك لأن الأصل في الفعل هنا هو المضي لأن الفعل الواقع بعد رب المكفوفة بما يجب أن يكون ماضياً لأنها للتقليل في الماضي ، وفي هذه الحالة فقطها محذوف غالباً ، وقد يظهر كما في قولنا: رب رجل كريم وهو قليل ، وتلحق به ما الكافة ، وفي هذه الحالة تدخل رب على الجمل لتقليل النسبة مثل : ربما قام زيد ، وربما زيد قائم فيكون لتقليل نسبة القيام إلى زيد .

وقد ترتبط "رب" بـ "ما" لتحقيق النسبة الواقعة بعد كما نراها في هذه الآية.

أما إذا كانت "ما" المرتبطة بـ "رب" كما في هذه الآية نكرة بمعنى شيء موصوفة بما بعدها وهو "يود" ففي هذه الحالة لا تحتاج إلى تأويل كما في : رب رجل يسافر غداً .

فـ "رب" في الآية تفيد التقليل ، وذلك لأنهم إذا شاهدوا أهوال يوم القيامة تذهب عقولهم فإذا ثابت إليهم عقولهم ، وذلك قليل سألوا الإسلام[1] .

أي أن هذا الكلام وهو أن "لو" أدخلت على المضارع لفظاً ومعنى وذلك لأنه بمنزلة الماضي لتحقق وقوعه وصدوره ممن لا خلف في أخباره لتحقيق مناسبتها له بذلك التنزيل .

وهذا ما يراه الإمام بن يعقوب المغربي حيث يقول أن " لو " لا تدخل على الفعل المضارع إلا لنكته وذلك كتنزيله منزلة الماضي لتحقيق وقوعه حتى دخلت عليه " لو " المناسبة للمضي صحح هذا المعنى وأن المضارع هنا صدر ممن لا خلاف في أخباره والمستقبل والماضي عنده سواء فلا يحتاج إلى ذلك التحويل إلا لو كان صادراً ممن يمكن أن يقع منه الخلاف في أخباره فيعبر حينئذ بالماضي زيادة في تأكيد تحقق الوقوع نفياً لذلك إلا مكان ، وأما أنه صدر ممن لا خلف في أخباره فلا يحتاج إلى زيادة التأكيد[2] .

---

(١) مفتاح تلخيص المفتاح للخطيب الخلخاني ٢١٣/١ .
(٢) مواهب الفتاح ٨٤/٢ وما بعدها – بتصرف .

(٣) ومن النكت البلاغية لمجئ فعل الشرط مضارعاً بعد " لو " قصد استحضار الصورة .

وذلك كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[١]، فنرى هنا الهدف الأسمى من مجيء فعل الشرط مضارعاً والقصد هو استحضار صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار لأن المضارع مما يدل على الحال الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد لأنه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة فيشاهدها السامعون ، ولا يفعل ذلك إلا بأمر يهتم بمشاهدته لغرابته أو فظاعته ، وذلك نحو أن نقول مثلاً : لقد أصابتني حوادث لو تبقى إلى الآن لما بقى فيّ من أثر.

ويرى بدر الدين بن مالك أنه من الممكن رد الغرض البلاغي من لفظ "ترى" ، و "يطيعكم" ، و "يود" إلى استحضار صورة رؤية الظالمين الموقوفين على النار واستحضار صورة ودادة الكفار لو أسلموا، وصورة طاعته لهم ، وذلك لأن الفعل المضارع يدل على الاستحضار لأنه يدل على الحال الذي من شأنه أن يبصر ويشاهد ما يقع فيه كأنه يطلب من السامعين الحضور ومشاهدة ذلك الحال بخلاف الماضي فإنه لا يمكن مشاهدة ما فيه .

تأمل هذا في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[٢] .

فنجد أن الله سبحانه وتعالى جاء بالفعل المضارع "فتثير" بدلاً من الفعل الماضي "أثا " ، وذلك لاستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة القاهرة من إثارة السحاب مسخراً بين السماء والأرض، فقصد إلى إحضار تلك الصورة بالمضارع الدال في الجملة على الحضور، لأن ذلك أوكد في العمل بمقتضى الخطاب ، أو لأن النفس تتسارع إلى إحضار العجيب بما أمكن .[٣]

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٢٧ .
(٢) سورة فاطر : آية رقم ٩ .
(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن مالك – تحقيق وشرح : د/ حسني عبد الجليل ص٥٧ طبع المطبعة النموذجية ، مواهب الفتاح ٨٧/٢ ، مفتاح تلخيص المفتاح ٢١٣/١ ، الإشارات والتنبيهات لمحمد بن علي الجرجاني – تحقيق د/عبد القادر حسين ص٧٠ طبع دار نهضة مصر .

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [1] .

فقد دخلت " لو " على الفعل المضارع فدل هذا على أن المقصود من الآية هو أن مشيئة الله وهي الانتقام منهم ممكنة متوقعة أو كالمتوقعة ، فالمضارع هنا يدل على الاستحضار وذلك لأنه يدل على الحال الذي من شأنه أن يبصر ويشاهد ما يقع فيه من الصور ، فكأنه يطلب من السامعين الحضور ومشاهدة تلك الحال .

ومن يتأمل هذا المعنى يجد أن الفعل الماضي لا يمكن الدلالة به على هذا .

---

(١) سورة محمد : آية رقم ٤ .

من المعروف أن التمني من الأساليب الإنشائية ، وهو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله إما لكونه مستحيلاً أو لكونه بعيد الحصول والأداة الموضوعة لهذا المعنى هي ليت[1] وذلك كقوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [3] .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

ومنه أيضاً قول الشاعر :

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها *عقود مدح فما أرضي لكم بدلا

فمما لا شك فيه أن المتمني في الآيات والأبيات السابقة مما لا يطمع أحد في حصوله لاستحالته .

ومن المتمنى البعيد الحصول قوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [4]

ومنه أيضاً قوله تعالى : " يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي" [5] فهذه أمور ممكنة وإن كانت بعيدة المنال والتحقيق .

---

(١) راجع هذا في : خلاصة المعاني للمفتي - تحقيق د/ عبد القادر حسين ص٢٢٦ . نشر الناشرون العرب – المملكة العربية السعودية ، الإشارات والتنبيهات للجرجاني تحقيق د/ عبد القادر حسين ص١١٤ طبع دار نهضة مصر – شرح التلخيص للبابرتي ص٣٤٣ .

(٢) سورة مريم : آية رقم ٢٣ .

(٣) سورة النساء : آية رقم ٧٣ .

(٤) سورة القصص : آية رقم ٧٩ .

(٥) سورة يس : آية رقم ٢٦ .

وقد يتضمن التمني معنى الخير وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

فقوله تعالى : "ولا نكذب ، ونكون" بالنصب هنا بإضمار أن على جواب التمني، فهو تمني بصيغة الخبر وذلك كقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[2]، فهذا تمني ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة .

وهذا ما صرح به الزمخشري[3] في هذه الآية حيث قال : "يا ليتنا نرد" تم تمنيهم ثم ابتدأوا "ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين" واعدين الإيمان كأنهم قالوا ؛ ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات ، وشبه سيبويه يقولهم دعني ولا أعود ، بمعنى : دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني . ويجوز أن يكون معطوفاً على نرد أو حالاً على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني ، فإن قلت : يدفع ذلك قوله : وإنهم لكاذبون لأن المتمني لا يكون كاذباً ؟ قلت : هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل : ليت الله يرزقني ما لا فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك ، فهذا متمن في معنى الوعد ، فلو رزق ما لا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كأنه قال: إن رزقني الله كافأتك على الإحسان ، وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار إن على جواب التمني ومعناه : إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين[4] وهناك ألفاظ توسع فيها فاستعملت للدلالة على التمني وذلك بمعونة القرائن والبراهين ومن هذه الألفاظ " لو " .

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٢٧ .

(٢) سورة فاطر : آية رقم ٣٧ .

(٣) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ولد سنة ٤٦٧هـ بزمخشر إحدى قرى خوارزم – توفى سنة ٥٣٨هـ ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب من تصانيفه : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أساس البلاغة ، المفصل ، الفائق في غريب الحديث والأثر – مراجع حياته : وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان النص ٥ / ١٦٨ ترجمة رقم ٧١١ طبع دار صادر ، بيروت .

(٤) الكشاف ٢ / ١٣ طبع الحلبي الطبعة الأخيرة سنة ١٩٧٣م .

فمن المعروف أن من معاني "لو" التمني وهذا ما ذهب إليه الإمام سيبويه في كتابه[1] وذلك كقولك : "لو تأتيني فتحدثني" ، بنصب تحدثني، والنصب هنا قرينة دالة على أن "لو" هنا بمعنى ليت ؛ إذ لو كانت على حقيقتها الشرطية لرفعت تحدثني بالعطف على تقدير : ولو تحدثني، أو على القطع وهو الاستئناف بتقدير : وأنت تحدثني[2] ، ولأنه كما يفرض بـ "لو" غير الواقع واقعاً كذلك يطلب بـ "ليت" وقوع ما لا طماعية في وقوعه، وذلك بناء على أن معنى "لو" الذي وضعت له في أصل اللغة أن تكون حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الجواب لامتناع الشرط، فأبرز التمني وهو الأمر الممكن، وإن كان بعيد المنال في صورة الأمر الممتنع تماماً ، إبرازاً لعزة شأن هذا الأمر وندرة حاله، وقد اختلف[3] في " لو " والتي للتمني فقيل: هي قسم برأسها خاص للتمني فهي لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط ، ولكن قد يؤتى لها بجواب منصوب كجواب ليت .

وقيل : هي لو الشرطية أشربت معنى التمني . وذلك واضح؛ لأن النصب يكون باضمار أن في جواب التمني -الاستفهام- العرض ودخل فيه التخصيص – الأمر – النهي – الترجي ، فدل ذلك على أن " لو " هنا دلت على التمني مجازاً وإنما حملت " لو " على معنى التمني والحمل على المعنى الشائع أولى ، فهي تفيد التمني لغرض بلاغي وذلك إذا كان هناك يأس من الإتيان إلى المتكلم أو متعسرة عادة ، ووجهه : أن التمني طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر[4] .

ومن هذا قوله تعالى:﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا﴾[1].

---

(١) الكتاب ٣ / ٣٦ .
(٢) شرح التلخيص للبابرتي ص٣٤٤ .
(٣) راجع هذه الآراء في حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفقيه ابن مالك ومعه شرح الشواهد العيني ٤ / ٣٢ ، الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي تحقيق/ فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ص٢٨٩ طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي تحقيق أحمد الخراط ص٢٩١ طبع مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، معاني الحروف للرماني تعليق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص١٠١ طبع دار نهضة مصر .
(٤) المطول للتفتازاني ص٢٢٥ .
(٥) سورة الشعراء : آية رقم ١٠٢ .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) .

والتمني المستفاد من "لو" هنا يعين الأسلوبَ كله على تصويره، فقد جاء في الآية الفعل "كر" وهو فعل مضعف يدل على الرد بقوة وسرعة ، لهذا لم يعبر بفعل آخر يؤدي معنى الرجوع مثلاً كنرجع أو نعود وذلك لاستطالة زمن الكر ، ثم إننا نجد أن للمعذبين مواقف ولتمنيهم درجات ذلك أنهم حين يرون هذا العذاب قبل معاناة أهواله وويلاته هنا تكون الرغبة جارفة قوية والتمني في الهروب أو العودة إلى الدنيا أملا حياً حاراً فهو يعكس حسرة وندماً وألماً نفسياً لا يطاق .

فلهذا المعنى جئ في هذا الأسلوب بـ "لو" لأنها تدل أصلاً على الامتناع فكأنها رجع صدى بعيد ، إنهم يقولونها بعد أن مر بهم فنون من العذاب .

وفي آية سورة الزمر أتى التمني على لسان نفس مفردة رأت العذاب والهول فجثم عليها اليأس وضخم خيالها ما يراه .

فلو هنا أدل على تصوير هذا المعنى من أي أداة أخرى(٣) .

ومن هذا أيضاً قول الشاعر :

ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك مشتري أو يرجع

فلو هنا في هذه الشواهد بمعنى ليت ، وقد خرجت من الشرط إلى التمني لما بين معنى "لو" و "ليت" من التلاقي في التقدير بدليل نصب الفعل المضارع بعد "لو" بتقدير "أن" فهذا قرينة على أن "لو" ليست على أصلها، فالمضارع لا ينصب بعدها إلا بإضمار "أن" .

وأيضاً فإنه من المعلوم أنه يفرض بصيغة التمني ما يستحيل وقوعه فلذلك ضمنت "لو" التي تدل على الامتناع معنى التمني وأصلها "لو" الشرطية

لكنها تنوس معها معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ، والتي يجاب بها في معنى التمني(١) وقيل إن "لو" تفيد معنى التمني وذلك إذا جاءت

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ١٦٧ .
(٢) سورة الزمر : آية رقم ٥٨ .
(٣) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم - د/ صباح عبيد دراز ص٢٦٧ الطبعة الأولى طبع مطبعة الأمانة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

بعد فعل فيه معنى التمني[2] وفي هذه الحالة تكون " لو" مصدرية يستغنى بها عن فعل التمني فينتصب الفعل بعدها وذلك كقوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [3]. فالكلام هنا خبر خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فأفاد التهديد والتهويل في عدم ابتاعهم دين الإسلام ، والمعنى قد يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

و " لو " في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ مستعملة في التمني ؛ لأن أصلها الشرط فهي حرف امتناع لامتناع فعلى هذا المعنى فهي مناسبة لمعنى التمني الذي هو طلب الأمر الممتنع الحصول عليه إما لاستحالته أو لاستبعاده وقد وقعت "لو" هنا بعد فعل يفهم منه معنى التمني وهو الفعل "يود" فلذلك استعملت "لو" في التمني كأنها على تقدير قول محذوف يقوله المتمني ، ولما حذف فعل القول عدل في حكاية المقول إلى حكايته بالمعنى .

فأصل "لو كانوا مسلمين" "لو كنا مسلمين" فلو هنا مصدرية ، وقد تكون "لو" هنا للتمني أصلاً حكاية لو دادتهم وقد جئ بلفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم .

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿..... وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [4].

و "لو" هنا للتمني حكاية لو دادتهم فالجملة محكية بـ "يود" في موضع المفعول ، وهو وإن لم يكن قولاً ولا في معناه ، لكنه فعل قلبي يصدر عنه الأقوال فعومل معاملتها .

وكان أصل الأسلوب "لو أعمر" إلا أنه جاء بلفظ الغائب لأجل مناسبة " يود أحدهم " فإنه غائب[5] .

---

(١) التحرير والتنوير ١٩ / ١٥٦ .

(٢) المعجم المفصل في علوم البلاغة – (البديع والبيان والمعاني) – إعداد دكتوره / أنعام فوال عكاوي ص ٤٢٨ طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى– ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(٣) سورة الحجر : آية رقم ٢ .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٩٦ .

(٥) تفسير الكشاف في ١ / ٢٩٨ – تفسير روح المعاني ٢ / ٢٥ .

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ[1]﴾ تدل "لو" على معنى التمني في هذه الآية لأنها وقعت بعد فعل يفهم منه معنى التمني وهو "ودوا" وفيها تأكيد على تهالكهم على هذه الودادة مع الاستمرار على ذلك .

ثم نجد عطف قوله "فيدهنون" على قوله "ودوا" وذلك لغرض بلاغي وهو تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم على أن لين الكفار هنا إنما هو خداع لم يرد به غير الفساد[2] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾[3] . فهذا وصف لخوف المنافقين وجبنهم أي لو عاود الأحزاب مجيئهم مرة أخرى لأخذ المنافقون حذرهم فخرجوا إلى البادية بين الأعراب القاطنين حول المدينة، واستعمال الود هنا كناية عن السعي لحصول الشيء المودود لديهم ، لأن الشيء المحبوب لا يمنع من تحصيله إلا مانع قاهر فهو لازم للرد .

بعد هذا نرى أن "لو" هنا أفادت معنى التمني بعد فعل "ود" أي أنهم تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أن لو كانوا من أعراب البادية، لا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا في مصير، ولا يعلمون حتى ما يجري عند أهلها، إنما هم يجهلونه وذلك مبالغة في البعد والانفصال والنجاة من الأهوال[4] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي[5]﴾ .

فلو هنا في معنى التمني أي يتمنى الكافر ، أو يتمنى كل مذنب أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم في الحياة ، ويناضل عنهم ، ويعيش لهم فهم بنوه ، وزوجه ، وأخوه ، وعشيرته القريبة التي تؤويه وتحميه،

---

(١) سورة القلم : آية رقم ٩ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي خرج آياته وأحاديثه عبد الرازق غالب المهدي ١٠٠/٨ بتصرف طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

(٣) سورة الأحزاب : آية رقم ٢٠ .

(٤) راجع في هذا : تفسير الكشاف ٢٥٦/٣ – تفسير روح المعاني ٤٧٤/١٤ – تفسير مفاتيح الغيب ٥٧٥/٦ – تفسير التحرير والتنوير ٣٠١/٢١– في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٤١ .

(٥) سورة المعارج : آية رقم ١١ .

بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق فيتمنى يفتدي بمن في الأرض جميعاً .

فلو التي للتمني هنا أعطت صورة للهفة الطاغية والفزع المذهل، والرغبة الجامحة في الإفلات ، فهو يسمع ما يبنس ويقنط من كل بارقة من أمل ، أو كل حديث خادع من النفس ولذلك فهو يتمنى[1] .

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً[2]﴾ .

فلو هنا وقعت بعد فعل يفهم منه معنى التمني فلذلك أفادت معنى التمني، أي تمنت طائفة من أحبار اليهود أن يرتد المسلمون عن دينهم ويعودوا إلى سابق عهدهم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل الميل مع الحق ، أو أن هذا المعنى لأنهم تمنوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق[3] .

وبعد هذا العرض نرى أن الغرض البلاغي في العدول عن التمني بليت إلى التمني لـ "لو" هنا هو إبراز المتمني في صورة الممتنع إظهاراً لليأس وقطع الأمل ، وإبرازاً لعزة شأنه وندرة حاله .

ومن حروف التنديم والتحضيض والمتضمنة لمعنى التمني "لولا ولوما" فهي مأخوذة من "لو" في حال تركيبها مع "لا" و "ما" المزيدتين فركبت مع "لا" فصارت "لولا" وركبت مع "ما" فصارت "لوما".

وفي هذه الحالة الغرض من تضمين معنى التمني ليس إفادة التمني بل ليتولد من معنى التمني في الماضي التنديم أي جعل المخاطب ناد ما على ترك الفعل كقولنا : "لوما أكرمته" على معنى ليتك أكرمته قصدا إلى جعله نادماً على ترك الإكرام .

ويتولد من معنى التمني في المستقبل التحضيض أي حض المخاطب وحثه على الفعل كقولك : "لو ما تقوم على معنى ليتك تقوم" قصداً إلى حثه على القيام وهذا ما صرح به السكاكي حيث قال: كأن حروف التنديم والتحضيض وهي هلا ، وألا بقلب الهاء همزة ، ولولا

---

(١) راجع هذا في تفسير روح المعاني ٤١/١٨ ، تفسير في ظلال القرآن م٦ ج٢٩/ ٣٦٩٧.

(٢) سورة البقرة: آية رقم ١٠٩ .

(٣) راجع هذا في تفسير الكشاف ١ / ٣٠٤ – روح المعاني ٨٥/٢ .

ولوما مأخوذة منهما مركبتين مع لا ، وما المزيدتين لتضمنيها معنى التمني ليتولد منه في الماضي التنديم نحو : هلا أكرمت زيداً ، وفي المضارع التحضيض نحو هلا تقوم[1] .

فمعنى التمني هنا غير مقصود لذاته ، بل ليكون معبراً نعبر منه إلى معنى التنديم في الماضي ومعنى التحضيض في المضارع، ولم يجعل تركيب هذه الحروف للدلالة على التنديم والتحضيض مباشرة لأن التنديم متعلق بالماضي والتحضيض متعلق بالمستقبل ، فكأنهما مختلفان في أول الأمر ، فجعل التمني واسطة ليكون كالجنس للمعنيين[2] .

وبالإضافة إلى معنى التمني في هذا نجد نكتة بلاغية أخرى ألا وهي التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه[3] .

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ص٣٠٧ .
(٢) شرح السعد المسمى مختصر المعاني في علوم البلاغة للتفتازاني – تحقيق وتهذيب محمد محي الدين عبد الحميد ٢ / ٩٤ طبع محمد علي صبيح .
(٣) المطول ص٢٢٥ .

المبحث الأول

الإيجاز بحذف لو

من المعروف أن من ألطف وأحسن ضروب البلاغة الإيجاز ومنه الإيجاز بالحذف وهو التعبير عن المعنى الكامل بأقل ما يمكن من الألفاظ[1] ، فهو مسلك دقيق في التعبير، وتأدية المعاني، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذاك إنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن[2]، حتى أن البعض من العلماء عرف البلاغة بأنها الإيجاز[3] .

والأصل في المحذوفات جميعاً على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام قرينة تدل على المحذوف فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف وصف الكلام بأنه لغو من الحديث وأصبح الكلام من قبيل التعمية والغموض ؛ وذلك لأن شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة .

ومن أنواع الإيجاز بالحذف حذف أداة الشرط "لو" مع فعل الشرط وذلك كقوله تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ[4]﴾ .

---

(١) راجع ذلك في : شرح السعد المسمى مختصر المعاني ٣ / ٥٠ – شرح التلخيص ٤٣٠ – الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ص١٥١ ، خلاصة المعاني ص٢٩٥ .
(٢) دلائل الإعجاز ص١٤٦ .
(٣) راجع ذلك في : البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق د/ عبد السلام هارون ١ / ١١٦ – طبع دار الجبل بيروت .
(٤) سورة المؤمنون :آية رقم ٩١ .

ففي هذه الآية إيجاز بحذف "لو" مع فعل الشرط والتقدير : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إلاه بما خلق[1] وقد دل على المحذوف قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ .

فمن المعلوم أن " إذا " حرف جواب وجزاء لكلام قبلها ملفوظ أو مقدر، والكلام المجاب عنه هنا هو ما تضمنه قوله : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ فالجواب على هذا الكلام ضد ذلك النفي ، ومن يتأمل هذا الضد يجد أنه أمر مستحيل فلذلك يجب أن يقدر له شرط يدل على الاستحالة ، فقدر له هنا "لو" التي تدل على هذا .

والدليل على أن هذا التقدير هو الصواب أن إذا حرف جزاء وجواب ومجئ هذا الجواب مقترناً باللام والتي يلزم اقتران "لو" بها دل ذلك على أن الشرط المقدر شرط بـ "لو" كما أن غالب مواقع إذا أن تكون جواب "لو" فلذلك جاز حذف الشرط هنا لظهور تقديره .

وهذا ما صرح به الفراء[2] حيث قال : إن إذاً حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدرة إن لم تكن ظاهرة نحو قوله تعالى : ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ فكأنه قيل : لو كان معه آلهة كما تزعمون لذهب كل إله بما خلق[3] " .

وهذا التقدير هو ما صرح به أيضاً الرازي في تفسيره حيث قال : فإن قيل إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجواب ولم يتقدمه شرط ولا سؤال ؟ ، قلنا الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة ، وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه[4] .

---

(١) المثل السائر لابن الأثير تحقيق د/ أحمد الحوفي ، د/ بدري طبانه ق٢/٣٠٧ الطبعة الثانية ، طبع دار نهضة مصر .

(٢) هو يحيى بن زياد الباهلي ، وكنيته أبو زكريا ، فارس الأصل ، المتوفي سنة ٢٠٧ هـ ، كان واسع العلم ، أخذ عن الكسائي ، ويونس بن حبيب وغيرهما ، أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي .
من آثاره : كتاب " معاني القرآن " ، وكتاب " النوادر " وغيرهما .
راجع الترجمة في : وفيات الأعيان لابن خلكان – تحقيق إحسان عباس ٦ / ١٧٦ - بغية الوعاة ٢ / ٣٣٣ .

(٣) نقلاً عن الاتقان في علوم القرآن في علوم القرآن للسيوطي ١ / ١٩٥ طبع مطبعة الحلبي – المطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م – روح المعاني ١٢ / ٢٩٤ .

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ٦ / ٢٠٥ .

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا بالدليل على امتناع تعدد الآلـه فهو إثبات للوحدانية ؛ فهذا ما أفاده لفظ "كل آلـه" وذلك لأن النفي هنا عام فأفاد استغراق الجنس .

ولم يستدل على امتناع اتخاذ ولد ؛ وذلك لأن الاستدلال على امتناع تعدد الآلهة مغن عنه فهو أعم منه ، وانتفاء الأعم يقتضي انتفاء الأخص ، فإنه لو كان لله ولد لكان الأولاد آلهة ، وذلك لأن كل ولد موجود إنما يتكون على مثل ماهية أصله ، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ[1]﴾ ، أي له[2] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ[3]﴾ .

فمن يتأمل هذه الآية يجد أنها من أبلغ أنواع الإيجاز بحذف أداة الشرط، وذلك لأن مجئ جواب إذا مقترناً باللام والتي يغلب اقتران جواب لو بها دل على أن الشرط المقدر شرط بـ "لو" فإذا هنا جواب لشرط مقدر بـ "لو" والتقدير : لو كنت من يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأولين[4] .

وهذه الآية استدلال على وجود صفة الأمية المتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضاً الدلالة على أن هذا القرآن موحى إليه من الله .

واستقصاءً في تحقيق وصف الأمية المتصف بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نفى عنه حالتي التعليم وهما التعلم بالقراءة والتعلم بالكتابة، فإن الذي يحفظ كتاباً ولا يعرف أن يكتب لا يعد أمياً كالعالم الضرير، والذي يستطيع أن يكتب ما يلقى عليه ولا يحفظه لا يعد أيضاً أمياً مثل الناسخ للكتب فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية.

---

(١) سورة الزخرف : آية رقم ٨١ .
(٢) تفسير روح المعاني ١٢ / ٢٩٤ .
(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٨ .
(٤) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل لإمام المحققين البيضاوي – تحقيق د/حمزة النشرتي وآخرون ٤٦٦/٤ طبع دار الغد العربي .

وهذا أيضاً مستفاد من تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى : "من قبله" على قوله سبحانه وتعالى "ولا تخط" فالتقديم هنا للدلالة الصريحة في أنه عليه الصلاة والسلام لم يكتب مطلقاً .

ووجه التلازم بين التلاوة والكتابة والمتقدمين على نزول القرآن وبين حصول الشك في نفوس المشركين أنه لو كان ذلك واقعاً لاحتمل عندهم أن يكون القرآن من جنس ما كان يتلوه من قبل من كتب سابقة، وأن يكون هذا الكلام مماكان يخطه من قبل فقام اليوم بنشره والدعوة به.

وقال : "لارتاب المبطلون" دون أن يقول لجزم المبطلون وذلك لأن نظم القرآن وبلاغته يبطل أن يكون من أنواع ما سبق نزول القرآن من الكتب والقصص والشعر، ولكن ذلك لما كان مستدعياً تأملاً لم يمنع من خطور خاطر الارتياب على الإجمال قبل إتمام النظر ثم نجد وصف المكذبين بالمبطلين .

وقد نظر فيه في الواقع إلى حالهم لأنهم كذبوا مع انتفاء شبهة الكذب ، فكان تكذيبهم الآن باطلاً ، فهم متوغلون في البطلان[1] .

ومن حذف لو أيضاً مع شرطها قبل قريط بن أنيف[2] في صدرها حماسة أبي تمام :

لو كنت من مازن لم تستبح أبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذاً لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا[3]

أي لو كنت من هذه القبيلة لما أغار بنو ذهل على أبلى ، ولو كان ذلك لقام بنصري قوم صعاب أشداء يدفعون عني ويأخذون بحقي ممن اعتدى على إذا لأن ذو الضعف ولم يدفع ضيماً .

فلو في البيت الأول ذكرت وقد استوفت جوابها بقوله لم تستبح أبلى.

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ٦ / ٤٩٨ ـ تفسير التحرير والتنوير ٢١ / ١٠ ـ ١١ .
(٢) هو قريط بن أنيف أحد بني العنبر ، وهو شاعر إسلامي .
(٣) اللقيطة : هي أم حصن بن حذيفة من بني فزارة، واللوثة: اللين مع الضعف . راجع هذا في : ديوان الحماسة لأبي تمام - تحقيق د/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان ١/ ٥٧ طبع مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ـ مقدمة تفسير ابن النقيب ص١٦١ .

وفي البيت الثاني حذفت لو وكان سبب الحذف هو الاختصار والتقدير : إذ لو كنت منهم لقام بنصري معشر خشن ، أو إذ لو كانوا قومي لقام بنصري معشر خشن .

وقد صرح المرزوقي في شرح الحماسة بأن فائدة إذا هو أنه أخرَج البيت الثاني مخرج جواب قائل قال له : ولو استباحوا إبلك ماذا كان يفعل بنو مازن ؟

فقال : إذن لقام بنصري معشر خشن

ويجوز أن يكون أيضاً : إذاً لقام ، وجواب لو كأنه أجيب بجوابين، فمن يتأمل هذا المعنى يجد أن حذف لو كان أبلغ وأحسن لأنه نوع من أنواع الإيجاز والبلاغة .

المبحث الثاني

حذف جواب (لو)

ومن أنواع الإيجاز بالحذف ، حذف جواب " لو " ، وقد قسم بعض البلاغيين حذف جواب الشرط إلى قسمين :-

الأول : ما يحذف فيه جواب الشرط لمجرد الاختصار :-

الثاني : أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن ، فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه[1] وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا[2]﴾ .

فمن يتأمل هذه الآية يجد أن جواب "لو" محذوف للاختصار وذلك لأنه معلوم لدى السامع والقارئ فالحذف هنا لإفادة التعريض بالنداء على كفار مكة بنهاية ضلالتهم، إذ لم يهتدوا بدلائل هدى القرآن.

وتقدير الشرط : لو أن قرآناً أمر الجبال أن تسير ، والأرض أن تتقطع والموتى أن تتكلم لكان هذا القرآن بالغاً ذلك ، ووجه تخصيص سير الجبال ، أو تشقيق الأرض ، أو تكليم الموتى ما روى أن كفار مكة جلسوا في فناء مكة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم فقال له عبد الله ابن أمية المخزومي ، سير لنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا وأجعل لنا فيها أنهاراً نزرع فيها ، أو أحيى لنا بعض موتانا لنسألهم أحق ما تقول أو باطل ، فقد كان عيسى يحيى الموتى، أو سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان فلست بأهون على ربك من سليمان[3].

---

(١) الإيضاح ص١٠٧ .

(٢) سورة الرعد : آية رقم ٣١ .

(٣) تفسير الرازي ٥ / ٢٠٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٥١٥ طبع دار إحياء الكتب العربية .

فللدلالة على ثبات الضلال والكفر لدى كفار مكة كان تخصيص هذه الأشياء بالذكر ، فمن يقرأ القرآن الكريم بفهم وتدبر علم أن القرآن الكريم صنع في النفوس الإنسانية أكثر من تسيير الجبال وتشقق الأرض، وإحياء الموتى، وهذا ما رآه الشيخ سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن الكريم فقال: ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى ، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثاراً في أقدار الحياة ، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض ، إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ .

ومن طبيعة هذا القرآن ذاتها ، طبيعته في دعوته وفي تعبيره طبيعته في موضوعه ، وفي أدائه طبيعته في حقيقته وفي تأثيره ...

إن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة ، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام ، واستعداداً لإدراك ما يوجه إليه ويوحي به ، والذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال ، وهو تاريخ الأمم والأجيال، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أخمد من الموتى، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام، والتحول الذي تم في نفوس العرب وحياتهم فنقلهم تلك النقلة الضخمة دون أسباب ظاهرة إلا فعل هذا الكتاب ومنهجه في النفوس والحياة[1]، فأدى ذكر هذه الأشياء الغرض الذي ينط بذكرها وهو المبالغة في تفخيم شأن القرآن الكريم ، ووصف هؤلاء الكفار بسفاهة العقول، ولتغليب[2] المذكر من الموتى على المؤنث كان التذكير في قوله "كلم" ولنتأمل التأكيد وتوضيح المعنى بالقصر الحقيقي التحقيقي[3] المفاد من العطف بـ "بل" فقد عطفت جملة : بل لله الأمر

---

(١) في ظلال القرآن م٤ جـ ١٣ / ٢٦١ .

(٢) والتغليب هو أن يغلب على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما أو اختلاط فهو أمر يجري في كل متناسبين ومختلطين بحسب المقامات ، وعرفه الإمام الزركشي بأنه إعطاء الشيء حكم غيره ، وقيل هو ترجيح أحد المغلوبين على الآخر ، أما ابن حازم القرطاجني فيرى في كتابه منهاج البلغاء أن التغليب هو أن يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظاً أو معنى ، راجع ذلك في : شرح التلخيص للبابرتي ص٢٨٤، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤ / ٣٠٢ ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حازم القرطاجني تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ص١٠٣ طبع دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٩٨٦م .

(٣) هو تخصيص أحد الأمرين بالآخر وحصره فيه لا باعتبار صفة أخرى معينة في قصر الموصوف على الصفة ، ولا بإعتبار موصوف آخر معين في قصر الصفة على الموصوف . =

جميعاً ، على قوله تعالى : ﴿ولو أن قرآناً﴾ فدلت على تأكيد ملكية التصرف في الكون كله لله تعالى فالأمور كلها بيده دون أن تكون لأحد آخر فليس ذلك من شأن الكتب ، فهو الذي أنزل الكتاب ، وهو الذي يخلق العجائب إن شاء وليس ذلك من شأن النبي صلى الله عليه وسلم.

كما استفيد هذا المعنى من قوله تعالى : "جميعاً" فهي لتأكيد ملكة التصرف في كل الأمور لله سبحانه وتعالى وأيضاً بجملة : "بل لله الأمر جميعاً" وعلى طريقة الأسلوب الحكيم[1] كان أمر الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالرد ، وفي هذا إجراء لكلامهم على خلاف مرادهم، وذلك لأنهم ما أرادوا بما قالوه إلا التهكم والسخرية، فحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيهاً على أن الأولى بهم أن ينظروا هل كان في الكتب السابقة قرآن يتأتى به مثل ما قالوه ، ومن الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ[2]﴾ ، فـ "لو" هنا شرطية على أصلها فتقتضي جواباً ، والجواب هنا محذوف لغرض بلاغي وهو الإيجاز بالحذف وذلك لتذهب نفس السامع في تقديره كل مذهب تفخيماً لهذا الأمر وتعظيماً لشأنه فيكون أدخل في التهويل وتقدير جواب الشرط المحذوف هو لرأيت ما لا يحيط به نطاق التعبير من سوء حالهم وسوء منقلبهم .

وقد جاز حذفه لعلم المخاطب به .

والإيقاف هنا : إما من الوقوف المعروف بمعنى أنهم وقفوا فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم ، وإما أن يكون الوقوف بمعنى المعرفة أي عرفوا حقيقتها من قولك مثلاً وقفت فلاناً على كلام فلان أي علمته معناه وعرفته[3] .

والتعبير بـ "إذ" هنا لا يدل على الزمن الماضي كغالب أحوال "إذا" ولكنها قامت هنا مقام "إذا" في الدلالة على المبالغة والتأكيد

= راجع : شرح التخليص للبابرتي ص٣٢١ .

(١) هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بأن يحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أن خلاف مراده مما حمل عليه كلامه أولى بالقصد بالنسبة إلى حاله ، وأطلق عبد القاهر الجرجاني ت سنة ٤٧١ هـ عليه اسم المغالطة .

ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي ص١٧٥ طبع المطبعة الأميرية – دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص١٥٥ .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٢٧ .

(٣) تفسير الرازي ٢٧/٤ – تفسير روح المعاني ٥ / ٢٧٦ .

وإزالة الشبهة وذلك لأن الماضي إذا وقع واستقر فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي يفيد المبالغة والتحقيق[1] .

أما لفظ "على" فقد أفادت معنى الاستعلاء فأبرزت معنى جديداً للإيقاف وهو إحاطة النار بهم وهم في جوفها غائضين فيها ، فأقيمت هنا "على" مقام "في" في تأدية هذا المعنى ، وصح على هذا التقدير أن يقال: وقفوا على النار؛ لأن النار طبقات بعضها فوق بعض فصح أن تقول أن على أفادت معنى الاستعلاء[2] ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ[3]﴾

الآية تصوير لحال المنكرين للبعث وذلك عند حشرهم إلى الحساب على سبيل الإجمال ، وقد جئ في تصوير حال المنكرين بطريقة حذف جواب "لو" وذلك لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب للمبالغة في تصوير حالهم وهول موقفهم بين يدي الله - سبحانه وتعالى – والتقدير : لو ترى حالهم أيها الرائي لرأيت أمراً عظيماً[4] .

ويستفاد هذا المعنى إذا وجه الخطاب في قوله تعالى : "ترى" إلى غير معين فيكون لكل أحد ممن يصح منه الرؤية وذلك لإفادة بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها مخاطب دون آخر بل الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية ليتعجب من هولها وفظاعتها ، أو يستفاد عموم الخطاب لأن الغرض من الآية هو بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور والبيان إلى حيث يمتنع خفاؤها فهي ظاهرة واضحة لكل راء[5] .

وقد يكون الخطاب في قوله تعالى : "ولو ترى" للرسول صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فيكون الغرض البلاغي من المجئ بـ "لو" هنا هو دلالتها على التمني مجازاً كأنه قيل : ليتك ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم لتشمت بهم ، وتشفياً لصدره صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يؤذونه بالتكذيب[6] .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٩٢ – تفسير روح المعاني ٥ / ٢٧٦ .
(٢) تفسير الرازي ٤ / ٢٨ .
(٣) سورة السجدة : آية رقم ١٢ .
(٤) تفسير الرازي ٢٥٦/٦ ، تفسير التحرير والتنوير ٢١ / ٢٢١ – ٢٢٢ .
(٥) تفسير روح المعاني ١٤ / ٤٠٣ . .
(٦) المصدر السابق ١٤ / ٤٠٣ .

والتعبير بـ "إذ" هنا على سبيل المجاز لا الحقيقة فلا تدل على الزمن الماضي ولكنها تدل على التحقيق والتأكيد وذلك لأن أخباره تعالى عما تحقق في علمه الأزلي لتحققه بمنزلة الماضي فيستعمل فيه ما يدل على الماضي .

وباستعمال لفظ "المجرمون" هنا خرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وذلك باستعمال الاسم الظاهر وهو "المجرمون" مكان الضمير فهو إظهار في مقام الإضمار وذلك قصدا للتسجيل على هؤلاء المجرمين بأنهم في قولهم ذلك مجرمون أي آثمون بجرم فظيع وهو تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بإنكارهم للبعث فيتمكن معنى الخوف والفزع في قلب السامع مما سيلاقيه بإنكاره للبعث ، وتكذيبه للرسول صلى الله عليه وسلم فتقوى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يكذبه سامع واع[1] .

ومما يلاقيه هؤلاء المجرمون من التقريع والمهانة نجد الكناية عن ذلك بقوله تعالى "ناكسوا رؤوسهم" فمن المعلوم أن تنكيس الرؤوس علامة ودليل على الإهانة والذل فزاد المعنى وبذلك تأكيداً وتثبيتاً في الذهن فهي أبلغ من التصريح بالذل والمهانة، وفي هذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ عن الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح، فنحن وإن كنا نعلم أنك إذا قلت: هو طويل النجاد، وهم جمع الرماد، كان أبهى لمعناك، وأنبل من أن تدع الكناية وتصرح بالذي تريد ..... تفسير هذا: أن ليس المعنى إذا قلنا: "أن الكناية أبلغ من التصريح، إنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد ، فليست المزية في قولهم: جم الرماد، أنه دل على قرى أكثر، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشد وأدعيته دعوى انتسابها أنطق ، وبصحبتها أوثق[2] .

ومن الإيجاز بحذف جواب الشرط أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ[3]﴾ .

والخطاب هنا في قوله : "ولو ترى" للرسول صلى الله عليه وسلم تسلية له ، وقد يكون الخطاب عاماً لكل من تصح منه الرؤية ،

---

(١) شرح التلخيص للبابرتي ص٢٥٣ .
(٢) دلائل الإعجاز ص٦٦ – ٧٠ .
(٣) سورة سبأ : آية رقم ٥١ .

ومن يتأمل هذه الآية يجد أن "لو" هنا شرطية وبسببها يتجلى مبحث الإيجاز قصدا للمبالغة والتهويل فقد حذف جواب "لو" والتقدير: لرأيت أمراً فظيعاً أو عظيماً أو حالاً هائلة ، ففي الحذف إشارة إلى أن الجواب أمراً عظيم لا يحيط به الوصف فيترك للخيال إدراكه، أما اللفظ فلا يستطيع الإحاطة بهذا[1] وفي هذا تجسيماً لهذا الجواب .

كما نجد الإيجاز بالحذف أيضاً في حذف مفعول "ترى" وذلك لغرض بلاغي هو التعميم مع الاختصار أي لو تراهم ، أو ترى عذابهم و "إذ" على هذا التقدير ظرف لـ "ترى" .

وإذا جردت "إذ" هنا من معنى الظرفية فهي المفعول للفعل "ترى" أي لو ترى ذلك الزمان، أي ترى ما يشتمل عليه فلا حذف فيه، ومن المعلوم أن الفزع هو الخوف المفاجئ، وقد أوحي هذا التعبير بأنهم كانوا غير مهيئين لهذا الوقت أسباب النجاة من هوله وفظاعته[2] والفزع لهؤلاء الذين تتحدث عنهم الآية لا يكون إلا عند البعث، وكذلك أخذهم من مكان قريب أي القبور وفي هذا إشارة إلى عظمة ذلك الموقف العظيم يوم الحشر، وما يلاقيه هؤلاء المفزعون الذين لا يستطيعون فراراً مما سيلاقونه من الجزاء ، فتذكروا أيها العاصون ذلك الموقف واعملوا حتى لا تكونوا من الهالكين ، فإنكم لو رأيتموه فإن الألفاظ لا تستطيع أن تصور لكم عظمة هذا الموقف وجلاله، وهذا المعنى المستفاد من الفزع والأخذ هو ما أعطى الإشارة إلى أن في الآية إيجاز بحذف جواب "لو" .

ولإكمال هذه الصورة الرائعة في الدلالة على المبالغة في تحقيق وتأكيد هذا المشهد المهيب كان التعبير بـ "إذ" مكان "إذا" وذلك لأن الماضي إذا وقع واستقر فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي يفيد التحقيق والتأكيد .

وفي هذا المعنى يقول الزمخشري : " ..... ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للماضي ، والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه[3] .

---

(١) إتمام الدراية لقراء النقاية للسيوطي ص٧٨ . – طبع المطبعة الأدبية – القاهرة ، المبالغة في اللغة العربية " دراسة بلاغية " د/ فايزة عبد الحميد ص ٨٥ طبع دار التيسير – المنيا – مصر – ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٤١ بتصرف .

(٣) راجع : للكشاف ٣ / ٢٩٦ .

ومما ورد من الإيجاز بحذف الجواب أيضاً قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ[1]﴾.

فمن يتأمل هذه الآية يجد أن جملة "لو يعلم الذين كفروا" فصلت عن جملة "ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" لشبه كمال الاتصال، فجملة: "ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" قد أثارت سؤالاً صريحاً فماذا يكون الجواب عن تهكمهم واستهزائهم ، فجاء الجواب بالاستئناف البياني مفصولاً فقال : "لو يعلم الذين كفروا" وذلك للدلالة على أن هذا الوعد واقع لا محالة ولا سبيل إلى إنكاره[2]، و "لو" هنا شرطية وقد حذف جوابها للإيجاز، والتقدير: أي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم النار من كل الجوانب فلا يقدرون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم، لما كانوا على هذا القدر من الكفر والاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالإسلام .

وقد حسن حذف الجواب هنا لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه، والحذف هنا لغرض بلاغي وهو تهويل جنس هذا الجواب فتذهب نفس السامع فيه كل مذهب فإدراكه متروك للخيال، أما اللفظ فلا يستطيع الإحاطة به[3] .

وإيثار التعبير بالفعل المضارع "يعلم" شرطاً لـ "لو" وإن كان المعنى يدل على المضي فذلك لإفادة استمرار عدم العلم[4] .

وإذا كان "الكف" هنا بمعنى الإمساك فهو مستعمل على الحقيقة، وعلى هذا المعنى فالضمير في "يكفون" عائد إلى ملائكة العذاب، وهذا معلوم من المقام أي حين لا يمسك الملائكة اللفح بالنار عن وجوه المشركين[5] .

أما إذا كان بمعنى الستر والدرء فالضمير في " يكفون " عائد على "الذين كفروا" وعلى هذا المعنى فالكلام ليس من قبيل الحقيقة

---

(١) سورة الأنبياء : آية رقم ٣٩ .
(٢) راجع : التحرير والتنوير ١٧ / ٦٩ .
(٣) المصدر السابق ١٧ / ٦٩ – تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٠٦ .
(٤) تفسير روح المعاني ١١ / ٥٤٤ .
(٥) التحرير والتنوير ١٧ / ٦٩ .

وإنما هو على سبيل المجاز المرسل لعلاقة اللزومية ، أي حين لا يستطيعون أن يدفعوا النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم ، وفي هذا تأكيد للمعنى وتقريره في النفس[1] .

وللتنكيل بهؤلاء الكفار وتخويفهم ذكر الوجوه والإدبار وذلك لأن الوجوه أعز الأعضاء على الناس ، وأيضاً لأن الإدبار يأنف الإنسان من ضربها لأن في ضربها إهانة وخزياً خمس العذاب لها أعظم وقعاً[2] .

وإيماء إلى أن هزيمة يوم بدر ستحل بهم فلا يستطيعون خلاصاً منها ، ولا يجدون نصيراً من أحلافهم ، عطف قوله تعالى : "ولا هم ينصرون" على قوله تعالى "لا يكفون" فهذا كالإنذار والإشارة لما سيلقونه .

ومن الإيجاز بحذف جواب الشرط أيضاً قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً[3]﴾ .

فلو هنا أداة للشرط وبسببها يتجلى مبحث الإيجاز بحذف المفرد ، فقد حذف هنا جواب الشرط للتفخيم وتهويل الأمر لتذهب النفس في تصويره كل مذهب ممكن ، وتقدير الكلام : لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العذاب والثواب دون أندادهم ، فإذا جمعوا وحشروا لم يجدوا إلا قوة ربهم ، فالقوة لله جميعاً ، وإن لم يؤمنوا بذلك ، فإذا عاينوا العذاب في هذا الوقت لظهر لهم ضرر اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى ، أو لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم[4] .

فحذف جواب الشرط في الآية معلوم لدى هؤلاء الكفار ، ولذلك فحذفه لم يكن إلا لدلالته عندهم ولعلمهم به ، فكيف لا يعلمون وقد جاءهم النذير ، ودعاهم الرسول إلى ترك ما هم عليه من الضلال ليخرجوا من الظلمات إلى النور ، وقد أتى الله سبحانه وتعالى في الآية بدلائل قدرته على هؤلاء وإهلاكه لهم في الآخرة إن هم أصروا على عصيانهم ، فمن

---

(١) المصدر السابق .
(٢) تفسير الفخر الرازي ٦ / ٢٠٦ .
(٣) سورة البقرة : آية رقم ١٦٥ .
(٤) البيان في غريب القرآن لابن الأنباري – تحقيق طه عبد المجيد طه ١ / ١٣٤ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م ، الكشاف ١ / ٣٢٦ .

المعلوم لدى الجميع أن القوة جميعاً لله سبحانه وتعالى فكيف يبتغون القوة في غيره[1] .

والخطاب في " يرى " لغير معين يعم كل من يستمع الخطاب وذلك للدلالة علي المبالغة في تناهي حالهم في الفظاعة والسوء .

ويجوز أن يكون الخطاب للرسول علية الصلاة والسلام لتسليته[2] وللدلالة علي التعميم والمبالغة وعدم قصر الفعل علي مفعول معين حذف مفعول الفعل "يري" و التقدير: لو يرون عذابهم.

وقد يكون حذف المفعول هنا للاختصار وذلك لدلالة المقام علية.

وقوله تعالي: "الذين ظلموا" أي هم الذين اتخذوا من دون الله أندادا ، فهذا التعبير من وضع المظهر موضع المضمر ليكون شاملا لهؤلاء المشركين وغيرهم .

فأطلق الظلم، لأن إتصاف المتخذين لله أنداداً به أمر معلوم مشهور فالتعبير بالاسم الظاهر هنا أقوى وأبلغ في إبراز المعنى واستقراره في النفس من التعبير بالضمير[3] .

والتعبير بصيغ المستقبل بعد "لو" و "إذ" المختصين بالماضي للدلالة على تحقيق هذا المدلول وتأكيده ، فالكلام هنا ماض على سبيل التأويل ويدل على المستقبل على سبيل التحقيق[4] .

ومما جاء من هذا شعراً قول أبي تمام[5] في قصيدته البائية .

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت له المراقب بين السمر والقضب[6]

---

(١) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز " دراسة بلاغية " – د/ مختار عطيه ص ٣٦١ طبع دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٩٧ م .
(٢) تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢ / ٢٦٤ .
(٣) بغية الإيضاح ١ / ١٤٩ .
(٤) التحرير والتنوير ٢ / ٩٣ – ٩٥ .
(٥) هو حبيب بن أوس الطائي ولد بجاسم بدمشق سنة ١٩٠هـ ، نشأ بمصر ثم انتقل إلى العراق ، كان أديباً شاعراً ، توفى بالموصل سنة ٢٣٢ هـ .
من آثاره : ديوان شعر مطبوع .
مراجع حياته : الإعلام ٢ / ١٦٤ ، معاهد التخصيص ١ / ١٨ ، تجريد الأغاني لابن واصل الحموي – تحقيق د/ طه حسين ، إبراهيم الإبياري ق٢ ج١ / ٧٨٢ طبع مطبعة مصرية شركة مساهمة مصرية – القاهرة ١٣٧٦ – ١٩٥٧م .
(٦) البيت من البسيط من قصيدته في مدح المعتصم عند فتحه مدينة عمورية التي يقول مطلعها: السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فالمتأمل لهذا البيت يجد أن جواب "لو" محذوف والتقدير: لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبة الحذار .

ومن هذا أيضاً قول امرئ القيس[1] :

أجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك موقعاً[2]

يرى ابن قتيبة أن جواب "لو" هنا محذوف أي لرددناه، أو لم تجبه[3].

فجواب لو هنا في هذه الشواهد محذوف والتقدير: لرأيت أمراً عظيماً أو فظيعاً وحالاً هائلة، فحذف الجواب قصداً للتهويل ففي هذا الحذف إشارة إلى أن الجواب أمر عظيم يترك للخيال إدراكه، أما اللفظ فلا يستطيع الإحاطة به[4].

وهذا القسم من الحذف من أظهر وأبلغ أقسام الحذف وأوضحها لعلم المخاطب به وذهاب الفكر في المحذوف كل مذهب، فهو كمن يطلب صيدا لا يدري أين جهته فهو يتبع كل الجهات .

وبعد هذا العرض نرى أن حذف الشرط أو جوابه أو حذف مفعول المشيئة بعد لو فيه تكثير للمعنى فهو إيجاز ، والبلاغة الإيجاز فهو أبلغ في المعنى من إظهاره والدليل على الحذف هنا ما بقى من الأجزاء، أما تقدير الحذف البلاغي فلتقدره النفس بأي صورة مناسبة، فالله سبحانه في حذف جواب الشرط مثلاً يدع السامع ليتصور كل ما يمكنه بحيث لا

راجع البيت في : ديوان أبي تمام شرح البتريزي تحقيق محمد عبده عزام طبع دار المعارف ص٧ القاهرة .

(١) هو سليمان وقيل صنح بن حجر بن الحارث الكندي من أشهر شعراء العصر الجاهلي .

من آثاره : ديوان شعر مطبوع .

مراجع حياته : معجم الشعر للمرزباني ص٩ نشر مكتبة القدس طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣م طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر ٥١/١ طبع المدني .

(٢) البيت من قصيدة يقول مطلعها :

جزعنا ولم أجزع من البيت مجزعاً وعزيت قلباً بالكواعب مولعاً

راجع : ديوان امرئ القيس ص٢٤٢ طبع دار المعارف .

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٦٦ ، طبع عيسى الحلبي .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١٢/٢ – ١٣ طبع دار الفكر العربي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

يتصور أمراً في المقام مطلوباً أو مكروهاً إلا هو أعظم منه حتى يتيقن الإنسان من وعد ربه ويخشى وعيده[1] .

ألا ترى أنك لو قلت لغلامك "والله لئن قمت إليك!" وسكت عن الجواب ذهب بفكره إلى أنواع المكروه من الضرب، والقتل، والكسر، وعظم الخوف ولم يدر أي الأقسام تبغي، ولو قلت والله لئن قمت إليك لأضربنك فأتيت بالجواب لعلم إنك لم تبغ شيئاً غير الضرب ولا يخطر بباله نوع من المكروه سواه[2] .

وبلاغة هذا النوع تكمن في وجود ما يدل على الحذف كما بينا قبل ذلك، أما إذا لم يكن هناك دليل على هذا الحذف ، فلن يعرف مكانه، ولن يتضح جواب لو، ففي هذه الحالة يجب ذكر الجواب[3] .

تأمل هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [4] .

فلو حذف جواب "لو" هنا لم يعلم مكانه، لأنه يحتمل وجوهاً منها: أن يقال لما آمنوا، أو لطلبوا ما وراء ذلك .

---

(١) حسن الصنيع للبسيوني – تعليق وتصحيح محمد خليل الخطيب ص٩٦ طبع المطبعة المحمودية التجارية – القاهرة .
(٢) تفسير الفخر الرازي ٤ / ٢٧٥ .
(٣) المثل السائر ٢/٣١٠ – ٣١١ ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/ عبد العظيم المطعني ٢ / ٦٨– نشر مكتبة وهبة– الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
(٤) سورة الحجر : آية رقم ١٤ – ١٥ .

المبحث الثالث

حذف مفعول المشيئة

ومن الإيجاز بحذف المفرد أيضاً حذف مفعول المشيئة[1] في اللفظ، أما في التقدير فهو مذكور وذلك إذا وقع شرطاً بعد "لو" فيحذف مفعول المشيئة أو الإدارة إذا دلت عليه قرينة ما لم يكن تعلقه بالمفعول غريباً، وقد جعل البلاغيون لذلك غرضاً ونكته بلاغية إلا وهي البيان بعد الإبهام .

البيان بعد الإبهام :-

تأمل هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ[2]﴾، وقوله ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ[3]﴾ .

فإن فعل المشيئة هنا وقع شرطاً ولم يكن تعلقه بالمفعول غريباً، فإنه عندما ذكر فعل المشيئة علم السامع مدى تعلقها بشيء مبهم كائن أو غيره، ويجب أن يراعي ذلك في الكلام ويلتفت إليه فيجب تقدير المشيئة غرضاً من الأغراض البلاغية، وهو البيان بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، لأن فعل المشيئة حين ينطق به يعلم أن شيئاً تعلقت به المشيئة ولكنه مبهم وعندما يأتي باقي جواب الشرط يعلم ذلك الشيء، فكل من فعل الشرط والجواب دل على المفعول، ولكن الشرط دل عليه إجمالاً، والجواب دل عليه تفصيلاً والتقدير: لو شاء هدايتكم لهداكم .

وفي هذا يقول صاحب المطول: أي لو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين، فإنه متى قيل لو شاء علم أن هناك شيئاً علقت المشيئة عليه، لكنه مبهم عنده، فإذا جئ بجواب الشرط صار مبيناً له، وهذا أوقع في النفس[4] .

---

(١) راجع هذا في: شرح التلخيص للبابرتي ص٣٠٩،الإشارات والتنبيهات للجرجاني ص٨١

(٢) سورة النحل : آية رقم ٩ .

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ١٤٩ .

(٤) المطول : ص١٩٣ .

وأيضاً من حذف مفعول المشيئة قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى[1]﴾ فإن فعل المشيئة هنا وقع شرطاً ولم يكن تعلقه بالمفعول غريباً مع قصد تعلق الفعل بالمفعول، ويجب أن يراعي ذلك في الكلام ويلتفت إليه فيجب تقدير هذا المفعول بحسب القرينة الدالة عليه فأفاد حذف مفعول فعل المشيئة هنا غرض من الأغراض البلاغية، وهو البيان بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وذلك لأن فعل المشيئة حين ينطق به يعلم أن شيئاً تعلقت به المشيئة لكنه مبهم وعندما يأتي باقي جواب الشرط يعلم ذلك الشرط والتقدير: ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم " وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ شرط امتناعي دل على أن الله لم يشأ ذلك ، أي لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم عليه ، فمفعول المشيئة محذوف لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة إذا كان تعلقه بمفعوله غير غريب وكان شرطاً لإحدى أدوات الشرط[2] .

ومن هذا الحذف أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا[3]﴾ فمفعول فعل المشيئة بعد لو محذوف على ما هو الغالب في فعل المشيئة الواقع شرطاً استغناء عن المفعول بما يدل عليه جواب الشرط لغرض بلاغي وهو التفصيل بعد الإجمال؛ وذلك لأنه لما قال: "ولو شئنا" علم أن ثم مفعولاً تعلقت به المشيئة ولم يتعين ما هو؟ ولما أتى بالجواب يتبين به المفعول المحذوف، وذلك لأن سوق المشيئة شرطاً إنما يترتب عليها غالباً الشيء فكأن الشرط دل عليه فحذف أولاً مع الإشعار به إجمالاً ثم ذكر الجواب مفصلاً، والتقدير: لو شئنا إيتاء كل نفس هداها لآتيناها فكان الحذف أوقع في النفس[4].

ومن حذف مفعول فعل المشيئة بعد لو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فمفعول فعل المشيئة هنا محذوف لأن الجواب دل عليه ، إذ المعنى : ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب وذلك لأنه لما قال : "ولو شاء" علم

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٣٥ .
(٢) التحرير والتنوير ٦ / ٢٠٦ .
(٣) سورة السجدة : آية رقم ١٣ .
(٤) تفسير الألوسي ٤٠٤/١٤، مواهب الفتاح ١٣٢/٢ ضمن شروح التلخيص .

أن شاء المتعدي تعلق بشيء مبهم فلما جئ بجواب الشرط وضح ذلك الشيء وهو ذهاب السمع والبصر، فالشرط يتطلب جواباً والفعل يتطلب مفعولاً، والمفعول والجواب شيء واحد ولو ذكر لكان فضولاً من القول، فجرى استعمال العرب على حذف المفعول استغناء بجواب الشرط وفي ذلك بيان بعد إبهام وقد أورد الرازي عند تعرضه لهذه الآية مسألة مهمة، فيقول : المشهور أن "لو" تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، ومنهم من أنكر وزعم أنها لا تفيد إلا الربط واحتج عليه بالآية ، والخبر إما الآية فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ[1]﴾ .

فلو أفادت كلمة "لو" انتفاء الشيء لانتفاء غيره للزم التناقض لأن قوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ يقتضي أنه ما علم فيهم خيراً وما أسمعهم ، وقوله : ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ يفيد أنه تعالى : ما أسمعهم وأنهم ما تولوا ، ولكن عدم التولي خير فيلزم أن يكون قد علم فيهم خيراً، وما علم فيهم خيراً، تلك الآية .

أما الخبر الذي يسوقه الرازي فهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه[2] " فمن التناقض أن يعني الحديث أن صهيباً خافه وعصاه فأفادت لو هنا الربط ـ ومن حذف مفعول المشيئة إذا وقع شرطاً قول البحتري[3] :

---

(١) سورة الأنفال : آية رقم ٢٣ .

(٢) لم أر هذا الحديث منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث لا مرفوعاً ولا موقوفاً ، وكل ما رأيت قريباً من هذا حديث في حق سالم مولى أبي حذيفة أن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله يقول : " إن سالماً شديد الحب لله عز وجل – لو كان لا يخاف الله عز وجل ما عصاه .

راجع ذلك في : حلية الأولياء ١ / ١٧٧ – حاشية الأمير على مغني اللبيب ١ / ٢٠٦ طبع الحلبي بهامش مغني اللبيب لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبع المدني .

(٣) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري الطائي ولد سنة ٢٠٦هـ ، شاعر فصيح حسن المذهب ، نفي الكلام المطبوع ، اتصل بالمتوكل ، والفتح بن خاقان ، توفي بمنبج سنة ٢٨٤ هـ .

من آثاره : كتاب الحماسة ، كتاب المعاني ، ديوان شعر مطبوع .

مراجع حياته : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٩/٢٤٧ .

ولو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرماً ولم تهدم مآثر خالد

في هذا البيت عمد الشاعر إلى مدح ممدوحه فقال : بأنه بلغ في الكرم والمجد درجة فاقت ما وصل إليه حاتم الطائي ، وخالد بن أصبغ النبهاني .

وقد حذف مفعول فعل المشئية الذي وقع شرطاً لأداة الشرط "لو" ولم يكن تعلقه بالمفعول غريباً، فيجب تقدير هذا المفعول بحسب القرينة الدالة عليه لغرض بلاغي وهو البيان بعد الإبهام والتقدير: لو شئت عدم إفساد سماحة حاتم لم تفسدها .

وفي هذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني[1]: الأصل لا محالة: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه ؛ ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة ، وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللفظ، فليس بخفي أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت : "لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها" صرت إلى كلام غث وإلى شيء يمجه السمع، وتعافه النفس، وذلك أن في البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له، أبداً لطفاً ونبلاً لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ، وأنت إذا قلت : "لو شئت" علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء، فهو يضع في نفسه أن ههنا شيئاً تقتضي مشيئته له أن يكون أو أن لا يكون، فإذا قلت : "لم تفسد سماحة حاتم"، عرف ذلك الشيء[2] أما إذا كان في تعلق فعل المشيئة بالمفعول غرابة ، فلا يحسن في هذه الحالة حذف المفعول فيجب إبرازه ليتقرر في نفس السامع .

وذلك كقول إسحاق الخزيمي :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ولكن ساحة الصبر أوسع[3]

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ وقيل ٤٧٤ هـ ، عالم بالنحو والبلاغة .
من آثاره : دلائل الإعجاز ، أسرار البلاغة .
مراجع حياته : أنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ١٨٨/٢ ـ فوات الوفيات ٦١٢/١ .

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القادر الجرجاني تعليق محمود محمد شاكر ص١٦٤ نشر مكتبة الخانجي القاهرة .

(٣) البيت من الطويل من قصيدة يرثي بها ابنه أو مولاه عامر بن عمار أمير عرب الشام يقول مطلعها :-
قضى وطراً منك الحبيب المودع رحل الذي لا يستطاع فيضع =

فالشاعر هنا لم يحذف مفعول فعل المشيئة الواقع شرطاً بعد أداة الشرط "لو" وذلك لغرابة تعلق الفعل ببكاء الدم، ومن ثم فقد ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به.

وهذا ما قرره إمام البلاغة فقال: فقياس هذا لو كان على حد "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى" أن يقول: "لو شئت بكيت دماً" ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه، لأنها أحسن في هذا خصوصاً، وسبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً، فلما كان كذلك، كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به.

وإذا استقريت وجدت الأمر كذلك أبداً متى كان مفعول المشيئة أمراً عظيماً، أو بديعاً غريباً، كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر، يقول الرجل يخبر عن عزه: "لو شئت أن أرد على الأمير رددت" "ولو شئت أن ألقي الخليفة كل يوم لقيت" فإذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف كقولك: "لو شئت خرجت" و "لو شئت قمت" و "لو شئت أنصفت" و "لو شئت لقلت" [1].

ويرى الإمام ابن يعقوب المغربي أن الغرض البلاغي هنا هو تقرير مفعول الشرط ببيان ترتبه في الجواب على المشيئة لئلا ينكر حصوله عن الفعل والمآل واحد[2] أما الإمام التنوخي[3] فيقرر أن مفعول المشيئة ذكر في هذا لاحتياجه في الوزن إلى ضمير بكيته فاحتاج لما يفسره، ولتعظيم بكاء الدم، فقال في كتابه الأقصى القريب: "وأما الإتيان بالمفعول في بيت الشعر فلأنه لزمه من إقامة الوزن الضمير، والضمير لابد أن يعود على مذكور ولأن في إظهاره أيضاً تعظيماً لبكاء الدم"[4].

ولعل هذا الرأي قد استفاد منه النحويين وتأثروا به فيرى الإمام أبو حيان الأندلسي أن مفعول فعل المشيئة هنا واجب الذكر لأنه أمر

= ورد البيت في: الكامل للمبرد ٢٥١/١ – دلائل الإعجاز ص١٦٤، التبيان في علم البيان المطلع على المجاز لابن الزملكاني– تحقيق د/أحمد مطلوب ص١٠٩ طبع بغداد طبعة أولى سنة ١٩٨٣م.

(١) دلائل الإعجاز ص١٦٤ – ١٦٥.

(٢) مواهب الفتاح ٢/ ١٣٣ ضمن شروح التلخيص.

(٣) هو زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التنوخي – من علماء القرن السابع الهجري – من آثاره كتاب: الأقصى القريب. – مراجع حياته: مقدمة محقق كتاب الأقصى القريب.

(٤) الأقصى القريب ص٦٧.

غريب ويرى أن المفعول هنا يجب أن يذكر لعود الضمير ، إذ لو لم يذكر لم يكن للضمير ما يعود عليه[1] أو يذكر مفعول فعل المشيئة الواقع شرطاً وذلك لأن المذكور في جواب لو خلافه فلا دليل عليه حتى يحذف كقول الجوهري[2] .

فلم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت أن أبكي بكيت تفكراً

فالشاعر هنا لم يحذف مفعول فعل المشيئة للبيان بعد الإبهام، لأنه لم يرد أن يقول: فلو شئت أن أبكي تفكراً بكيت تفكراً، ولكنه أراد أن يقول: لو شئت أن أبكي البكاء الحقيقي فقد أفناني النحول فلم يبق فيه محل لدمعة ولا شيء من الفضلات، فلو عصر عينة ليسيل منها دمع لم يجده، ولخرج من عينه بدل الدمع التفكر، فالمراد من البكاء هنا البكاء المجازي وليس البكاء الحقيقي.

ويرى الخلخالي[3] إنه إذا قيل: يجوز أن يكون الغرض من هذا البيت هو البيان بعد الإبهام، ويكون معناه إني ضعفت ونحلت فلم يبق في ما يكون مادة الدمع من الإخلاط، والفضلات، بل بقى في الأفكار والخواطر فصرت بحيث أقدر على البكاء الفكري إذا شئته، وأجيب على هذا بأنه لو كان معناه ما ذكرت لوجب أن يقال: أن أبكي تفكراً؛ لأن البكاء المطلق لا يطلق إلا على بكاء الدمع ، ولقائل أن يقول: الكلام السابق وهو قوله: فلم يبق مني الشوق غير تفكيري، يدل على أن البكاء ههنا مقيد بالبكاء الفكري إذ الغرض أنه لم يبق منه غير تفكر فيكون من هذا القبيل، لكن الذوق يحكم بأن البكاء الأول هو بكاء الدمع[4] .

وهذا ما رآه الإمام عبد القاهر الجرجاني سنة ٤٧١ هـ فقال في هذا البيت : (فقد نحا به نحو قوله : "لو شئت أن أبكي دماً لبكيته" فأظهر مفعول "شئت" ولم يقل : "فلو شئت بكيت تفكراً" لأجل أن له

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١ / ٨٩ طبع دار الفكر طبعة ثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري الجرجاني ، شاعراً ، ورد البيت في : يتيمة الدهر للثعالبي ٣ / ٢٥٩ ـ ٢٧٤ ، دلائل الإعجاز ص١٦٧ ، الإيضاح ص٦٣ ، التبيان ص١٠٩.

(٣) محمد بن مظفر الدين الخلخالي ، ويعرف أيضاً بالخطيبي ، توفى سنة ٧٤٥هـ ، كان إماماً في العلوم العقلية والنقلية .
من آثاره شرح المصابيح ، مختصر ابن الحاجب ، مفتاح تلخيص المفتاح .
مراجع حياته : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية لابن حجر العسقلاني - تحقيق محمد سيد جاد ٥ / ٩٥ طبع دار الكتب الحديثة ، طبقات الشافعية ١ / ٥٠٥ .

(٤) مفتاح تلخيص المفتاح ١ / ٢٣٣ .

غرضاً لا يتم إلا بذكر المفعول ذلك أنه لم يرد أن يقول : "ولو شئت أن أبكي تفكراً بكيت كذلك" ولكنه أراد أن يقول : قد أفناني النحول، فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول، حتى لو شئت بكاء فمريت شؤوني، وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده، ولخرج بدل الدمع التفكر . فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه مطلق مبهم غير مُعَدى إلى "التفكر" البته ، و "البكاء" الثاني مقيد مُعَدي إلى التفكر . وإذا كان الأمر كذلك ، صار الثاني كأنه شيء غير الأول، وجرى مجرى أن تقول : "لو شئت أن تعطي درهماً أعطيت درهمين" ، في أن الثاني لا يصلح أن يكون تفسيراً للأول) [1] .

والسبب الأساسي في إطراد حذف مفعول المشيئة دون غيره من الأفعال هو أن المشيئة يلزم من وجودها وجود المشيء ، وإذا كان الأمر كذلك فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب، وهذا ما صرح به الإمام التنوخي في كتابه الأقصى القريب فقال: "وكثر حذف مفعول المشيئة بعد لو وتفسيره في جوابها لأن مادة المشيئة والشيء واحد فكأن المشيئة جعل ما ليس بشيء شيئاً فمفعول المشيئة على هذا لا يتأخر عنها وهو بعد لو منفي لانتفائه في الجواب فيكون انتفاء المشيئة لازماً لانتفائه فانتفاؤه بالوضع وانتفاء المشيئة باللزوم فحذف مفعول المشيئة لينصرف الانتفاء إلى المشيئة فيكون انتفاء مفعولها تابعاً لها"[2] .

---

(١) دلائل الإعجاز ص١٦٧ .

(٢) الأقصى القريب ص٦٧ .

المبالغة في الكلام من أجل المقاصد في الفصاحة، وأعظمها في البراعة ولولا سمو رتبتها ما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وأن الصنعة إنما يمد باعها، وينشر شعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرع أفنانها، حيث يعتمد الاتساع والتخييل، ويدعي الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل، وحيث يقصد التلطف والتأويل، ويذهب مذهب بالقول بالمبالغة والإغراق في المدح والذم والوصف والبث والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والأغراض وهناك يجد الشاعر سبيلاً إلى أن يبدع ويزيد ويبدئ في اختراع الصور ويعيد ..... ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع والمستخرج من معدن لا ينتهي[1] .

والمبالغة هي :

إدعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً، والمبالغة المحمودة والمقبولة عند علماء البلاغة والأدب هي التي تقوم على التوسط بين مذهب من يقبل المبالغة جملة وتفصيلاً[2] وبين من يرفضها جملة وتفصيلاً[3] .

ومن أجل وأحسن أنواع المبالغة ما كان السبيل إليه بـ "لو" أو ما اقترنت به "لو" لتقرب هذه المبالغة من العقول ففي هذا المقام تخرج

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق د/محمد عبد المنعم خفاجي٢/ ١٣٤ نشر مكتبة القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(٢) راجع هذا الرأى في : عيار الشعر لابن طباطبا العلوي شرح وتحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور ص٥٣–٦٩ طبع دار الكتب العلمية– لبنان– الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م نقد الأدب لابن قدامه تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص ٩٢–٩٥ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية– الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م، الموازنة بين أبي تمام والبحتري للأمدي – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٣٨/٢ طبع المكتبة العلمية– بيروت .

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٥٣/٢ طبع دار الجبل بيروت – لبنان الطبعة الخامسة – البيان والتبيين ١/ ٢٤٥ – منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حازم القرطاجني ص١٣٣.

لو عن معنى الشرط ولا تدل إلا على معنى الربط والوصل ولذلك لقبوها بـ "لو" الوصلية، ولا يقصد بها إلا المبالغة وهذا ما صرح به الطاهر بن عاشور فقال: ومثل هذا الاستعمال شائع في كلام العرب، ولكثرته قال كثير من النحاة : إن "لو وإن" الشرطيتين في مثله مجردتان عن معنى الشرط ولا يقصد بهما إلا المبالغة، ولقبوهما بالوصليتين: أي أنهما لمجرد الوصل والربط في مقام التأكيد[1] .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[2]﴾.

فمن يتأمل هذه الآية يجد أن "لو" اتصالية وهي تفيد المبالغة بأن ما بعدها أجدر بانتفاء ما قبلها لو كان منفياً، فالمبالغة هنا ليست في كراهية الكافرين لأنها لا قيمة لها عند الله سبحانه وتعالى حتى يبالغ فيها، وإنما المبالغة في آثار تلك الكراهية وهي التألب والتظاهر على مقاومة الدين وأبطاله[3] .

ومن المبالغة قول تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[4]﴾ .

وقعت "لو" هنا وصيلة فأفادت معنى المبالغة الممكنة فقد بالغ الله سبحانه وتعالى في إظهار كراهية المشركين لظهور الإسلام فأنه متمم نوره وناصره ليكون أشرف الأديان وأغلبها فهو منصور على سائر الأديان .

ونرى أنه قد مهد لهذه المبالغة ودل عليه تعدية فعل الإظهار بـ "على" الذي دل على تضمين هذا الفعل معنى النصر والتفضيل للإسلام ليكون أشرف الأديان وأغلبها فهو منصور دائماً إن شاء الله تعالى وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور : "..... ولو كره المشركون" "لو" هنا وصلية مثل التي في نظيرتها وذكر المشركين هنا لأن ظهور دين الإسلام أشد حسرة عليهم من كل أمة، لأنهم الذين ابتدأوا بمعارضته وعداوته ودعوا الأمم للتألب عليه واستنصروا بهم فلم يغنوا عنهم شيئاً ، ولأن أتم مظاهر انتصار الإسلام كان في جزيرة العرب وهي ديار المشركين لأن

---

(١) راجع ذلك في : التحرير والتنوير ٣ / ٣٠٦ .
(٢) سورة التوبة : آية رقم ٣٢ .
(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ١٧١ .
(٤) سورة التوبة : آية رقم ٣٣ .

الإسلام غلب عليها ، وزالت منها جميع الأديان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى دينان في جزيرة العرب، فكذلك كانت كراهية المشركين ظهوره محل المبالغة في أحوال إظهاره على الدين كله[1] .

ومن هذا قوله تعالى أيضاً ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى[2]﴾ .

فنجد أن "لو" هنا للربط والوصل فدلت على معنى المبالغة وأدت إلى زيادة المعنى فلو أزيلت هذه الزيادة مكانها وأسقطت لكان المعنى تاماً بدونها ولكن الغرض هنا هو تأكيد هذا المعنى في النفس وتقريره فذكر "لو" هنا للدلالة على هذه المبالغة[3] .

ومن المبالغة الممكنة شعراً قول ابن الرومي يهجو بخيلاً :

لو أن قصرك يا ابن يوسف ممتلئ أبرا يضيق بها فناء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك أبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل

في هذين البيتين يبالغ ابن الرومي في وصف بخيل، والبلوغ في هجائه إلى أحط درجاته ، فليس أهون من الإبر في البذل والعطاء، ولا سيما إذا كانت وافرة كثيرة وليس أبلغ في البخل من الضن بإبراة واحدة على من يستوجب حاله الإيثار والبذل لرتق الخرف، وضم الممزق لاسيما إذا كان بنياً[4] .

ومن خلال هذا الكلام يتضح أن سبب حسن المبالغة هنا هي "لو" الوصيلة التي ساعدت على بلوغ المبالغة إلى ذروتها مع إمكان وجود مثل هذا الوصف .

ومن المبالغة نوع أطلق علماء البلاغة عليه اسم الإغراق وهو ما كان المدعي للوصف ممكنا من جهة العقل، لا من جهة العادة لامتناع وقوع مثله في الخارج ، وذلك لأننا لم نعهد وجود مثل هذا الوصف وهذا النوع من المبالغة الخارج إلى حد الاستحالة لا يكاد يوجد في الكتاب العزيز ، ولا في كلام العرب المتصف بالفصاحة إلا مقروناً بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله في باب الإمكان مثل (لو - ولولا - وكاد - وكان) .

---

(١) راجع : التحرير والتنوير ١٠ / ١٧٣ وما بعدها .
(٢) سورة الرعد : آية رقم ٣١ .
(٣) مقدمة تفسير ابن النقيب ص٤٠٧ .
(٤) الصبح البديعي ص٢٨٤ .

وهذا كقول امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من النمل فوق الأتب لاثرا[1]

في هذا البيت وصف الشاعر حبيبته بالعفاف والشرف فهي تقتصر طرفها على الزوج فقط، وهذا المعنى معروف لا مبالغة فيه، ثم يوالي وصفها فوصفها بالرقة والنعومة حتى إن النملة لو مشت فوق ثيابها لأثر في جسمها، وهذا أمر ممكن للعقل أن يتقبله أما العادة فلا تقبل مثل هذا، إلا أن مجئ لفظ "لو" قرب هذه المبالغة حتى صح من السامع أن يسلم بهذا الأمر ويتقبله .

ومن هنا أيضاً قول الشاعر :

ولو أن ما بي من جوى وصبابة على جمل لم يبق في النار كافر[2]

في هذا البيت بالغ الشاعر في وصف نفسه فقال : إن الجمل لو تحمل ما تحملته من الصبابة والجوى لإصابة التحول الشديد ، ولد خل في ثقب الإبرة، ولو دخل الجمل في ثقب الإبرة يتحتم على ذلك دخول الكفار الجنة .

وقد أشار الشاعر بهذا المعنى إلى قوله تعالى عن حال الكفار مئيساً لهم من دخول الجنة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ[3]﴾، وقد شرح ابن حجة الحموي هذا المعنى في خزانته فقال: (إن إبليس تعرض لبعض الأولياء، فلم ينل منه غرضاً، فقال له الولي: من أشد عليك العابد الجاهل أم العالم المسرف على نفسه؟ فقال: العالم المسرف على نفسه، وأما العابد الجاهل فهو في قبضتي أدخل عليه في دينه من حيث شئت، وأنا أريك ذلك: فانطلق به إلى أعبد الجهال في ذلك الزمان فضرب عليه الباب، فخرج إليهما، فقال له إبليس: جئت أستفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل في سم الخياط أم لا؟ فتوقف وتحير وغلق الباب، فقال إبليس للولي: ها هو وقد كفر بالشك في قدرة الله، ثم انطلق به إلى عالم مسرف على نفسه، فضرب عليه الباب، وكان في القائلة، فقال الرجل العالم، من هذا الشيطان الذي

---

(١) البيت من الطويل من قصيدة يقول مطلعها :-

سما بك شوق بعدما كان أقصر وحلت سليمي بطن قوم فعرعرا

ينظر الديوان ص٦٨ .

(٢) البيت من الطويل وقد ذكر في معاهد التنصيص ٢٥/٣ .

(٣) سورة الأعراف : آية رقم ٤٠ .

يضرب بأبي في القائلة؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام: (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل[1]) فقال إبليس: ها قد عرفني قبل رؤيتي فلما خرج قال له إبليس : هل يقدر الله أن يدخل الجمل في سم الخياط؟ فقال له أتشك في قدرة الله؟ هو قادر على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل، أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل في سم الخياط فانصرفا، فقال إبليس لصاحبه: معرفة هذا بالله تمحي ذنوبه ، وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله[2] .

فمن يتأمل هذا البيت يجد أن المبالغة في وصف الشاعر بالنحول حتى أن الجمل لو تحمل ما تحمله من الصبابة والجوى لإصابة أيضاً هذا النحول الشديد، ولدخل في ثقب الإبرة وهذا أمر لا يستحيل عقلاً وذلك لأن الله تعالى قادر على هذا ولكن هذا الأمر ممتنع عادة ، وقد قرب لفظ "لو" التي جردت عن المعنى العام لها وهو الشرط ودلت على معنى المبالغة هذا الوصف من العقول، ومن أنواع المبالغة الغلو وهو مشتق من المغالاة في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه .

وغلا بالسهم يغلو غلوا، وغالى به غلاء: رفع يده يريد به أقصى الغاية وهو من التجاوز[3] .

فالغلو على هذا هو تجاوز الحد في الشيء والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها وبعد معرفة المعنى اللغوي للغلو نجد أن هناك مناسبة وصلة بين هذا المعنى والمعنى الذي أدرجه علماء البلاغة عن الغلو فقالوا هو ما يكون الوصف المدعي فيه غير ممكن عقلاً وعادة، فادعاء بلوغ الشيء إلى كونه غير ممكن عقلاً وعادة فهذا هو الغلو الذي تجاوز الوصف فيه حد الاستحالة العقلية .

فمن يتأمل هذا المعنى يجد أن الغلو شيء مستنكر في الأسلوب إلا إذا اقترن به ما يقربه إلى الإمكان كـ "لو" .

---

(١) رواه الطبراني عن أنس بن مالك .
راجع الحديث في : كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني٢/١٠٤ـ الطبعة الثالثة- طبع دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان-١٣٥٢هـ.
(٢) خزانة ابن حجة الحموي ص٢٢٨ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤هـ طراز الحلة وشفاء الغلة في شرح بديعة ابن جابر الغرناطي الأندلسي - تحقيق العادلي أحمد محمد ص٢٦٩ - رسالة ماجستير ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م المبالغة في اللغة العربية دراسة بلاغية د/ فايزة عبد الحميد ص٢٣٢ - ٢٣٤ .
(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (غ ل أ) طبع دار المعارف .

ومن هذا قول زهير[1] :-

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا[2]

من يتأمل هذا البيت يجد أن زهير بن أبي سلمى قد لجأ إلى المبالغة بل تجاوز الحد فيها في مدح هرم بن سنان وأخوته فقال :-

إن الإنسان لو استطاع أن ينال الاستواء فوق الشمس بالمجد والكرم لكان أحرى بهؤلاء القوم الاستواء عليها .

وهذا الوصف المدعي غير ممكن الحدوث في العقل ولا تقر أيضاً به العادة ولكن جمل هذا الأسلوب وقرب معنى المبالغة في ذهن السامع مجئ لفظ "لو".

ومن هذا أيضاً قول البحتري[3] :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر[4]

جرى العرف على أن الإمام والخطيب هم من يسعون بإقدامهم إلى المساجد لصعود المنابر ولكن الشاعر هنا بالغ في وصف ممدوحه وخروجه من بيته يوم العيد فقال : أن شوق المنبر لهذا الممدوح ازداد فقام من مكانه وتحرك باتجاه الممدوح ، وهذا المعنى المستحيل إمكانه وتحققه فلا يقبله العقل ولا تقربه العادة إلا أن مجئ لفظ " لو " قرب هذه المبالغة من الإمكان .

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعه بن رباح بن قرة المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية وأشهرهم، من أصحاب المعلقات فقد قيل أنه كان ينظم القصيدة في شهر ويهذبها في سنة، له ديوان شعر مطبوع .
مراجع حياته: الشعر والشعراء لابن قتيبه تحقيق أحمد محمد شاكر ص١٤٣/١ طبع دار المعارف القاهرة ١٩٦٧م، الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ٢٨٨/١٠ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب لبنان.

(٢) البيت من قصيدة في مدح هرم بن سنان وأخوته يقول مطلعها :-
إن الخليط أجدوا البين فانجردوا واخلفوك عند الأمر الذي وعدوا
راجع البيت في : ديوان زهير ص٢٦ – طبع دار صادر – بيروت .

(٣) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري الطائي ولد سنة ٢٠٦ هـ وتوفى ٢٨٤ هـ كان شاعراً فحلاً .
من آثاره : كتاب الحماسة وكتاب معاني الشعراء ، وديوان شعر
أنظر ترجمته في : الأغاني ٢١ / ٣٩ والفهرست لابن النديم ص٢٣٥ طبع دار المعرفة بيروت – لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٤) البيت من الكامل من قصيدة في مدح الخليفة المتوكل ويصف خروجه يوم العيد ، ديوان البحتري ٢ / ١٠٧٢ .

ومن المبالغة أيضاً قول عبد الله بن الزبير في إحدى مدائحه لأسماء بن خارجه :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله[1]

نرى الشاعر هنا قد أجاد في التعبير عما يريد التصريح به، ومع ما في البيت من جمال في التعبير إلا أنه مشتمل أيضاً على إفراط وغلو فيما أراد أن يبالغ في التعبير عنه فقد بالغ في إسباغ صفة الكرم على الممدوح، وذلك لأن الإنسان لا يجود بروحه إلا في سبيل مبدأ هام في حياته فكأنه أراد أن يقول أن ممدوحه أسماء بن خارجة قد جعل من الكرم مبدأ هام في حياته يدفعه إلى أن يجود بروحه في سبيله.

وما أراده عبد الله بن الزبير بمبالغته هذه غير ممكن الحدوث عقلاً ولا تقر به أيضاً العادة ؛ وذلك لأنه شيء مخالف لطبيعة الغرائز البشرية التي فطر الله الإنسان عليها .

إلا أن مجئ الشاعر بـ "لو" قرب هذه المبالغة من الأذهان وجعلها ممكنة الحدوث .

وبعد هذا العرض وتحليل ما ورد من شواهد تحليلاً بلاغياً ، لعلنا لاحظنا مدى دلالة " لو " على المبالغة سواء باعتبارها "لو" الوصلية أو باعتبار المعنى المبالغ فيه والمقرب إلى العقول والأذهان بدلالة "لو" عليه .

---

(١) راجع البيت في : مقدمة شعر الحسين بن مطير الأسدي – جمع وتحقيق د/ محسن غياض ص٢٣ – طبع مديرية الثقافة العراقية – بغداد سنة ١٩٧١م نقلاً عن شعراء بني أسد إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد عثمان علي ص٤٩٢، طبع دار الأوزاعي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

من المعلوم أن "لو" مختصة بالفعل الماضي في غالب أحوالها، وأنها إذا دخلت على الفعل المضارع فذلك لاعتبارات بلاغية ، وإذا وقع الاسم بعد "لو" وتأخر الفعل فذلك أيضاً لأغراض بلاغية تفهم من سياق الأسلوب[1] فهي : إما لقصد التأكيد والتقوية وذلك للإشعار بأن ذكر الفعل بعد "لو" ثم ذكر فاعله ثم ذكر الفعل مرة ثانية فإنما ذلك لغرض التأكيد والتقويه مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ[2]﴾ فإنما يجب أن يقدر الفعل المحذوف هنا من جنس الفعل المذكور والتقدير وإن استجارك أحد من المشركين استجارك فأجره .

وإما أن يكون الغرض البلاغي هو الاختصاص وذلك كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ[3]﴾ وذلك بناء على أن أنتم بعينه ضمير "تملكون" المؤخر فهو في المعنى فاعل مقدم وتقديم الفاعل المعنوي يفيد الاختصاص؛ وذلك لأن أنتم فاعل فعل مضمر يفسره الفعل المذكور، وقد وجدت القرينة الدالة على هذا التفسير وهي أداة الشرط والفعل المفسر والتقدير: لو تملكون، تملكون كرر للتأكيد ثم حذف المؤكد لدلالة حرف الشرط على مطلق الفعل، ودلالة التأكيد على خصوصيته ، فصار الضمير المرفوع المتصل منفصلاً؛ لعدم ما يتصل به ، وذلك للدلالة على اختصاص الفعل بفاعله .

فالمعنى هنا :- (لو أنتم اختصصتم بملك خزائن رحمة الله دون الله لما أنفقتم على الفقراء شيئاً وذلك أشد في التقريع وفي الامتنان بتخييل أن إنعام غيره كالعدم .

---

(١) راجع : شرح التلخيص للبابرتي ص٢٦٦ ، الإشارات والتنبيهات ص٦٤ ، التحرير والتنوير ١٤ / ٦٥ .
(٢) سورة التوبة : آية رقم ٦ .
(٣) سورة الإسراء : آية رقم ١٠٠ .

وقد اختير الفعل المضارع لدلالة الفعل المضارع على الاستقبال فالمقصود فرض أن يملكوا ذلك في المستقبل .

وفي هذا يقول الزمخشري : (لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلابد من فعل بعدها في : "لو أنتم تملكون" وتقديره: "لو تملكون تملكون" فأضمر تلك إضماراً على شريطة التفسير، وأبدل الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ، ونحوه قال حاتم: "لو ذات سوار لطمتني[1]" وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر)[2] .

ويرى الألوسي أن الحذف هنا للإيجاز فإنه بعد قصد التوكيد لو قيل تملكون تملكون لكان إطناباً وتكرار بحسب الظاهر[3] .

وقد بلغت هذه الآية من الوصف بالبخل الغاية القصوى التي لا يبلغها الوهم ، حيث أفادت أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله تعالى التي لا تتناهى وانفردوا بملكها من غير مزاحم امسكوها من غير مقتضى إلا خشية الفقر .

وقد صور الشعراء هذا المعنى إلا أنه لم يصل إلى درجة الإعجاز القرآني – فقال ابن الرومي[4] يهجوا بخيلاً :

لو أن قصرك يا ابن يوسف ممتلئ إبرا يضيق بها فناء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك أبره ليخيط قد قميصه لم نفعل

---

(١) مثل لحاتم الطائي وقد أسر فلطمته جارية .
ينظر مجمع الأمثال للميداني ٣ / ٨١ نشر منشورات الحياة – بيروت – لبنان .
(٢) الكشاف ٢ / ٤٦٧ – ٤٦٨ .
(٣) تفسير روح المعاني ١٠ / ٢٠٠ .
(٤) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، الشاعر المشهور ، أشعر أهل زمانه بعد البحتري ، توفى سنة ٣٨٣هـ .
من آثاره : ديوان شعر مطبوع .
مراجع حياته : معجم الشعراء للمرزباني ص١٦٠ نشر مكتبة القدس – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ١٨٨/٢ طبع المكتبة التجارية بيروت – لبنان .

البيتان من الكامل وفيهما يبالغ ابن الرومي في وصف بخيل ويهجوه ، والبلوغ في هجائه إلى أحط درجاته ، فليس أهون من الأبر في البذل والعطاء ، ولا سيما إذا كانت وافرة كثيرة وليس أبلغ في البخل من الضن بأبره واحدة على من يستوجب حاله الإيثار والبذل لرتق الخرف، وضم الممزق ولا سيما إذا كان بنيا[1].

(١) تفسير روح المعاني ١٠ / ٢٠١ – الصيغ البديعي د/ أحمد موسى ص٢٨٤ طبع مطبعة دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٩م ، المبالغة في اللغة العربية " دراسة بلاغية " د/ فايزة عبد الحميد ص٢٢٨ – طبع دار التيسير للطباعة – المنيا – مصر – طبع سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الحمد لله العلي القدير الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله وحسن عنايته ورعايته تختتم الطيبات وشكراً على ما أعان ووفق وسدد، له الحمد الجزيل حمد من أخلص النية لوجهه الكريم ، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد

فمن المعلوم أن الارتباط بأبحاث تتعلق بالأساليب الراقية هدف كل باحث مجد لا يرى من وراء ما يخطه بيمينه إلا رقي اللغة العربية واعتلاء شأنها .

ولهذا كان هذا البحث الذي منّ الله علي بفضله ونعمته لأكتب الآن خاتمته ، فإن معرفة معاني الأدوات علم نشأ في ركاب تفسير القرآن الكريم حين كان علماء هذه اللغة السامية كل على حسب تخصصه يفضلون المعاني المختلفة للأداة الواحدة في النصوص القرآنية فخدمة لهذه اللغة كان بحثي هذا في معاني إحدى هذه الأدوات وقد سميته بـ ﴿المسائل البلاغية في لو النحوية﴾.

سلكت فيه منهج تطبيق بعض المصطلحات البلاغية على هذا الحرف البلاغي الهام .

وبعد فهذا جهدي فيما توصلت إليه لإبراز الأسرار البلاغية لـ "لو" النحوية وقد اكتمل بحثي الآن لا أرى إني قصرت في حقه، ومع ذلك فلست شاكاً في أن ما فاتني من معان بلاغية رائعة أكثر من الحاصل لي ، والواقع إليّ رغم اجتهادي ولكني اقتصرت على ما نالته في هذا الوقت يدي وقرب من تأملي وتصفحي ، وقد بذلت قصارى جهدي ، ولا أدعي أني قاربت من الكمال ، فالكمال لله وحده ، فإن أك قد وفقت فذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وإن تكن الأخرى وآمل أن لا تكون فمني وحدي ، وحسبي أني اجتهدت والمجتهد لا يحرم الأجر وإن أخطأ والله أسأل أن ينفع بعملي هذا وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتوره

فايزه عبد الحميد فهمي

١- الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي طبع مطبعة الحلبي الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٢- إتمام الدراية لقراء النقاية : للسيوطي طبع المطبعة الأدبية بالقاهرة

٣- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية : د/ صباح عبيد دراز الطبعة الأولى طبع مطبعة الأمانة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٤- أسرار البلاغة : للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي نشر مكتبة القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٥- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : لمحمد بن علي الجرجاني تحقيق أ.د/عبد القادر حسين طبع دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٦- الإعلام : للزركلي طبع دار العلم للملايين – طبعة ثالثة ١٩٨٤م .

٧- الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – لبنان.

٨- الأقصى القريب : للتنوخي – طبع مطبعة السعادة طبعة أولى ١٣٢٧ هـ .

٩- الأمالي النحوية : لابن الحاجب – تحقيق / هادي حسن حمودي – طبع عالم الكتب - طبعة أولى سنة ١٩٨٥م .

١٠- أنباء الرواة على أنباه النجاه : للقفطي .

١١- الإيجاز في كلام العربي ونص الإعجاز " دراسة بلاغية " : د/ مختار عطيه طبع دار المعرفة الجامعية .

١٢- الإيضاح في شرح المفصل : لابن الحاجب النحوي – تحقيق د/ موسى بناي الطيلي – طبع العاني بغداد .

١٣- الإيضاح في علوم البلاغة : للخطيب القزويني بدون .

١٤- البرهان في علوم القرآن : للزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع مطبعة دار التراث – الطبعة الثانية .

١٥- بغية الإيضاح : للشيخ عبد المتعال الصعيدي طبع المطبعة النموذجية .

١٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر المكتبة العصرية – صيدا .

١٧- البيان والتبيين : للجاحظ تحقيق د/ عبد السلام هارون طبع دار الجيل بيروت.

١٨- البيان في غريب القرآن : لابن الأنباري تحقيق طه عبد المجيد طه طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

١٩- تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة طبع عيسى الحلبي .

٢٠- التبيان في علم البيان المطلع على المجاز : لابن الزملكاني تحقيق د/ أحمد مطلوب طبع بغداد طبعة أولى ١٩٨٣م .

٢١- تجريد الإغاني: لابن واصل الحموي تحقيق د/ طه حسين، وإبراهيم الأبياري، طبع مطبعة مصرية شركة مساهمة مصرية، القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

٢٢- تجريد العلامة البناني : طبع المطبعة العلمية الطبعة الأولى ١٣١٥هـ .

٢٣- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: تحقيق د/ حمزة النشرتي وآخرون طبع دار الغد العربي .

٢٤- تفسير البحر المحيط: لابن حيان، طبع دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢٥- تفسير التحرير والتنوير : للطاهر بن عاشور طبع الدار التونسية ، تونس ١٩٨٤م .

٢٦- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للألوسي ، دار الغد العربي .

٢٧- تفسير في ظلال القرآن : للشيخ سيد قطب ، طبع دار الشروق، الطبعة الثانية عشر ١٩٨٦م – ١٤٠٦هـ .

٢٨- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، طبع إحياء الكتب العربية.

٢٩- تفسير الكشاف : للزمخشري طبع دار الفكر العربي .

٣٠- تفسير الكشاف : للزمخشري طبع الحلبي ، الطبعة الأخيرة ١٩٧٣م .

٣١- تفسير مفاتيح الغيب : للرازي طبع دار الفكر العربي .

٣٢- الجنى الداني في حروف المعاني : للمرادي تحقيق د/ فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، طبع دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

٣٣- حاشية الأمير علي مغنى اللبيب : بهامش مغنى اللبيب .

٣٤- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك طبع دار إحياء الكتب العربية .

٣٥- حسن الصنيع : للبسيوني تعليق وتصحيح محمد خليل الخطيب طبع المطبعة المحمودية التجارية القاهرة .

٣٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : للحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني طبع دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٧- خزانة الأدب: لابن حجة الحموي طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤هـ.

٣٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: د/ عبد العظيم المطعني نشر مكتبة وهبه الطبعة الأولى١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٩- خلاصة المعاني : للمفتي تحقيق ودراسة أ.د/ عبد القادر حسين – طبع الناشرون العرب المملكة العربية السعودية .

٤٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لابن حجر العسقلاني تحقيق محمد سيد جاد طبع دار الكتب الحديثة .

٤١- دلائل الإعجاز : لعبد القاهر الجرجاني تعليق محمود محمد شاكر نشر مكتبة الخانجي .

٤٢- ديوان أبي تمام شرح التبريزي : تحقيق محمد عبده عزام ، طبع دار المعارف ، القاهرة .

٤٣- ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف الطبعة الرابعة .

٤٤- ديوان البحتري : طبع دار المعارف .

٤٥- ديوان الحماسة : لأبي تمام تحقيق د/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان طبع مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م .

٤٦- ديوان زهير بن أبي سلمى : طبع دار صادر بيروت .

٤٧- رصف المباني في شرح حروف المعاني : للمالقي تحقيق أحمد محمد الخراط طبع مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق .

٤٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي طبع المكتبة التجارية بيروت لبنان .

٤٩- شرح التلخيص : للبابرتي تحقيق ودراسة د/ محمد مصطفى رمضان طبع المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس - لبنان - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٨٣م .

٥٠- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان : للسيوطي طبع الحلبي ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

٥١- شرح قصيدة كعب بن زهير : لابن هشام الأنصاري ضبط وتحقيق محمود حسن أبو ناجي طبعة ثالثة طبع مؤسسة علوم القرآن سنة ١٩٨٤م .

٥٢- شرح المفصل : لابن يعيش طبع عالم الكتب بيروت .

٥٣- شروح التلخيص : بدون طبع

٥٤- شعراء بني أسد إلى نهاية القرن الثالث الهجري : محمد عثمان علي طبع دار الأوزاعي الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٥٥- الشعر والشعراء : لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر طبع دار المعارف القاهرة ١٩٦٧م .

٥٦- الصبغ البديعي : د/ أحمد موسى طبع مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٩م .

٥٧- طبقات الشافعية : للسبكي تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو طبع مطبعة الحلبي ١٩٦٤م .

٥٨- طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر طبع مطبعة المدني .

٥٩- طراز الحلة وشفاء الغلة في شرح بديعيه ابن جابر الغرناطي الأندلسي - تحقيق العادلي أحمد محمد - رسالة ماجستير .

٦٠- عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح : للبهاء السبكي تحقيق د/ فايزة عبد الحميد - رسالة دكتوراه .

٦١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه : لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - طبع دار الجبل بيروت - لبنان - الطبعة الخامسة .

٦٢- عيار الشعر : لابن طباطبا العلوي شرح وتحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور طبع دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى .

٦٣- غاية النهاية في طبقات القراء : للجزري طبع دار الكتب العلمية لبيروت.

٦٤- الفهرست : لابن النديم طبع دار المعرفة بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٦٥- فوات الوفيات والذيل عليها : لابن شاكر الكتبي تحقيق د/ إحسان عباس طبع دار الثقافة بيروت ١٩٧٣م .

٦٦- الكامل للمبرد : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر .

٦٧- الكتاب : لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون - طبع الهيئة العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

٦٨- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: للعجلوني طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٣٥٢.

٦٩- لسان العرب : لابن منظور طبع دار المعارف .

٧٠- المبالغة في اللغة العربي " دراسة بلاغية " : د/ فايزه عبد الحميد- طبع دار التيسير للطباعة- المنيا ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

٧١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لابن الأثير تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفي ، د/ بدوي طبانه طبع ونشر دار نهضة مصر الطبعة الثانية .

٧٢- مجمع الأمثال للميداني: نشر منشورات الحياة - بيروت - لبنان .

٧٣- مختصر المعاني في علوم البلاغة : للتفتازاني تحقيق وتهذيب محمد محيى الدين عبد الحميد نشر مكتبة صبيح طبع مطبعة المدني ١٩٣٨م .

٧٤- المصباح في المعاني والبيان والبديع : لابن مالك شرح وتحقيق د/ حسني عبد الجليل يوسف طبع المطبعة النموذجية نشر مكتبة الآداب .

٧٥- المطول على التخليص : خطيب دمشقي شرح سعد الدين التفتازاني طبع مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ .

٧٦- معاني الحروف : للرماني تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي طبع دار نهضة مصر .

٧٧- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : للعباسي ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبع عالم الكتب ، بيروت ١٩٧٤م .

٧٨- معجم الأدباء : لياقوت الحموي نشر عيسى الحلبي الطبعة الأخيرة القاهرة سنة ١٩٣٦م .

٧٩- معجم الشعراء : للمرزباني نشر مكتبة القدس طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣م .

٨٠- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني : إعداد د/ إنعام فوال عكاوي مراجعة أحمد شمس الدين طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٨١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضح محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٨٢- مغني اللبيب : لابن هشام تحقيق وضبط محمد محيى الدين عبد الحميد طبع مطبعة المدني نشر مطبعة صبيح .

٨٣- مفتاح تلخيص المفتاح : للخطيبي الخلخاني تحقيق د/ هاشم محمد هاشم رسالة دكتوراه .

٨٤- مفتاح العلوم : للسكاكي – طبع المطبعة الأميرية .

٨٥- المقتضب : للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة ثانية ١٩٧٩م .

٨٦- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن : لابن النقيب كشف وتعليق د/ زكريا سعيد علي طبع الخانجي الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٨٧- مقدمة شعر الحسين بن مطير : جمع وتحقيق د/ محسن فياض طبع مديرية الثقافة العراقية - بغداد سنة ١٩٧١م .

٨٨- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : لأبي الحسن حازم القرطاجني تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة طبع دار الغرب الإسلامي الطبعة الثالثة بيروت - لبنان ١٩٨٦م .

٨٩- الموازنة بين أبي تمام والبحتري : للآمدي تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد طبع المكتبة العلمية - بيروت .

٩٠- مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص طبع دار السرور .

٩١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي : تخريج ووضع حواشي عبد الرازق غالب المهدي طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩٢- نقد الشعر لابن قدامه : تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي نشر مكتبة الكليات الأزهرية .

٩٣- وفيات الأعيان لابن خلكان : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد طبع دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

فهرس موضوعات البحث

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٣٦٥
التمهيد : المعنى العام لـ " لو "	٣٦٨
الفصل الأول	٣٧٣
لو واقترانها بالمضارع	
الفصل الثاني	٣٧٩
لو ودلالتها على التمني	
الفصل الثالث	٣٨٧
لو ودلالتها على الإيجاز	
المبحث الأول : الإيجاز بحذف " لو "	٣٨٧
المبحث الثاني : الإيجاز بحذف جواب الشرط	٣٩٢
المبحث الثالث : الإيجاز بحذف مفعول المشيئة	٤٠٣
الفصل الرابع	٤١٠
لو ودلالتها على المبالغة	
الفصل الخامس	٤١٧
لو ودلالتها على الإختصاص	
الخاتمة	٤٢٠
المصادر والمراجع	٤٢٢
الفهرس	٤٢٩